وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامـــعـــة ديـــالـــى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التأريخ

أثر الوازع الأقتصادي
في نشأة حكومة مكة قبل الإسلام

رسالة قدّمها الطالب
{غسّان جبّار عبد الله أحمد العُبيدي}
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية– جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في التأريخ الإسلامي

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتور
شاكر محمود إسماعيل العُبيدي

شعبان 1433هـ
تموز 2012م

الفصل الأول
مكة المكرمة
المبحث الأول
الجانب اللغوي والتأريخي

مكة لغةً و اصطلاحاً :

أولاً : لغةً :ـ

وردت عدة معانٍ لأسم مكة في المعاجم اللغوية ، فقد ورد : (مكة) مكهُ وأمتكه وتمككهُ ومكمكهُ : مصه جميعاً ، والمكُّ : الازدحام[1] ، وسميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تُذهب نخوتهم[2] ، وسميت كذلك لازدحام الناس بها وتدافعهم ، وقيل : لقلة مائها من قولهم : امتك الفصيل[3] ضرع أمه ، إذا مصه مصاً شديداً ، وذلك لأنهم كانوا يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه[4] ، وقيل : إنما سميت مكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول : لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكا ، حول الكعبة وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها ، و(المكاء) بتشديد الكاف : طائر يأوي الى الرياض[5] ،

---

(1) الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي(ت817هـ/1414م) ، القاموس المحيط ، دار الفكر ، (بيروت – 1978م) ، ج1 ، ص1231 .

(2) ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت626هـ/1229م) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، (بيروت – 1960م) ، ج 5 ، ص181 ؛ البعلي ، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي (ت709هـ/1309م) ، المطلع على أبواب الفقه ، تحقيق : محمد بشير الادلبي ، المكتب الإسلامي ، (بيروت – 1981م) ، ص186 .

(3) الفصيل : ولد الابل ، سمي فصيلاً إذا فصل عن أمه في الرضاع ، ينظر : الازدي ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ/933م) ، جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي ومنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1987م) ، ج2 ، ص891 .

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص181 ؛ البعلي ، المطلع ، ص186 ؛ ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري المصري (ت711هـ/1311م) ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، ج10، ص490 .

(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص182 .

وربما سميت مكة لأنها تمك الذنوب أي تَذهب بها[1] ، أو لأنها تهلك من ظلم فيها وألحد[2] ، قال تعالى : ﴿ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾[3] .

وكانت تلبية عك[4] ومذحج[5] جميعاً :

يامَكة الفاجر مكي مكاً ... ولا تمكي مُذحَجاً وعَكْا

فَنَترُك البيتَ الحرامَ دكاً ... جِئنا إلى رَبكِ لا نَشُكا[6]

ويذكر أن مكة سميت بهذا الاسم لان الناس قد عبدت الآلهة فيها فيأتوها من جميع الأطراف ، فكأنها تجتذب الى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم ، ولما كانت في بطن وادٍ فهي تمك الماء من جبالها وأخاشبها[7] عند نزول المطر وتنجذب إليها السيول[8] ، أو سميت بهذا الاسم لأنها واقعة بين جبلين مرتفعين

---

(1) النووي ، ابو زكريا محي الدين بن شرف بن مري الدمشقي الشافعي (ت676هـ/1277م) ، تحرير ألفاظ التنبيه ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، دار القلم ، (دمشق – 1987م) ، ص133 .

(2) الزبيدي ، ابو الفيض محمد بن مرتضى الحسيني الحنفي (ت1205هـ/1790م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية المحمدية ، (القاهرة – 1887م) ، ج1 ، ص6787 .

(3) سورة الأنفال الآية : 35 .

(4)عك : قبيلة يقال لها عك بن عدنان أخو معد بن عدنان حالفوا اليمن ونزلوا في الاشعرين ، ينظر : السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت562هـ/1166م) ، الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط2 ، مكتبة ابن تيمية ، (القاهرة – 1980م) ، ج9 ، ص350.

(5) مذحج : كل من ينسب الى مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ وهم ثلاثة بطون : جلد ابن مذحج ومروان بن مذحج وسعد العشيرة بن مذحج ، ينظر : ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عاصم النمري (ت463هـ/1070م) ، الانباه على قبائل الرواة ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – 1985م) ، ص120 .

(6) قُطرب ، ابو علي بن المستنير بن احمد (ت206هـ/821م) ، الازمنة وتلبية الجاهلية ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : 1985م) ، ص43 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص6787 .

(7) الاخشب : الجبل الغليظ ، ينظر : ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت224هـ/839م) ، غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد – 1964م) ، ج1 ، ص108 .

(8) السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي (ت581هـ/ 1185م) ، الروض الأنف ، تحقيق : مجدي بن منصور بن سيد الشورى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص220 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت911هـ/1505م) ، الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، مكتبة اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق – 1985م) ، ص19 .

عليها ، وهي في هبطة بمنزلة المكوك[1] ، وقد ورد ذكر مكة في القرآن الكريم في قوله تعـــالى :﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ﴾[2] .

ثانياً : اصطلاحاً :ـ

مكة : هي بيت الله الحرام[3] ، وهي على الرغم من شهرتها وامتدادها الى عصور تاريخية متقدمة ، إلا أن البحث لم يجد لها نصاً تأريخياً يذكرها يعود الى العصور القديمة ، سوى ما ذكره الدكتور جواد علي في المفصل ناقلاً ذلك عن العالم اليوناني (بطليموس) ، فقد ذكر في كتابه (جغرافية) اسم مدينة أطلق عليها (مكربة) أو (ماكورابا) (Macoraba) ، وقد ذهب الباحثون الى أن المدينة المذكورة هي (مكة) وبهذا يعد بطليموس أقدم من أشار الى وجود هذه المدينة كونه قد عاش في القرن الثاني الميلادي[4] ، ثم أن شمال شبه الجزيرة العربية قد شهد موجات من هجرة الأقوام العربية الساكنة في بلاد اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية ، وقد سكن قسم من هؤلاء مكة الى جانب الاسماعيليين (ذرية إسماعيل عليه السلام) سكان المدينة ، ولهذا يرجح أحد الباحثين أن اسم مكة أخذ من لغة أهل الجنوب مستنداً في ذلك الى وجود البيت الحرام ، فمكة عنده مأخوذة من (مكرب) ، وهي كلمة يمنية مكونة من (مك ، ورب) ، ومك بمعنى (بيت) ، فتكون مكرب بمعنى (بيت ألآله) ومنها أخذت كلمة مكة[5] .

ويرى بروكلمان أنها مأخوذة من كلمة (مقرب) العربية ، ومعناها (الهيكل)[6] ، لكن الدكتور جواد علي له رأي أخر في المعنى المراد من هذه الكلمة مفاده : أن لفظة (مكربة) أو (مكرب) هي لفظة عربية أصابها بعض التحريف ليناسب النطق اليوناني

---

(1) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص182 .

(2) سورة الفتح الآية : 24 .

(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص181 .

(4) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط2 ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، (بغداد – 1993م) ، ج4 ، ص9 .

(5) مهران ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – د.ت) ، ص394 .

(6) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1968م) ، ص31 .

(فمكربة) أي (مقربة) من التقريب مستشهداً بأن حكام (سبأ)[1] في العربية الجنوبية كانوا كهاناً أي : رجال دين حكموا الناس باسم آلهتهم ، وقد كان الواحد منهم يلقب نفسه بلقب (مكرب) ، أي : (مقرب) وهو اقرب الناس الى الآلهة فهو مقدس لنطقه باسم الآلهة وفي هذا المعنى جاءت لفظة (مكربة) لأنها مقربة من الآلهة ، فاللفظة ليست علماً لمكة ، وإنما هي نعت لها ، ثم صار هذا النعت علماً على المدينة[2] ، ويبدو للباحث من مقارنة النصين أن الرأي الثاني أقرب الى الصواب من الأول لما أسنده من تشابه بين هذه اللفظة وما هو مستعمل عند حكومة سبأ القديمة بإطلاق لفظ (مكرب) على حكامها .

أسماء مكة ودلالاتها :

لمكة أسماء كثيرة تصل إلى أكثر من ثلاثين اسماً ورد قسم منها في آي القرآن الكريم ، ولعل كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ومكانته ، كما هو الحال في أسماء الله تعالى وأسماء النبي ﷺ ومن اسماء مكة الاخرى :

أولاً . بكة :

ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﴾[3] ، والبكُّ : دق العنق وبك فلان يبك بكةً ، أي زحم ، وتباك القوم أي زحموا ، وسميت مكة : بكة لان الناس يبك بعضهم بعضاً في الطواف ، بمعنى يدفع بعضهم بعضاً بالازدحام ، وقيل : بل سميت كذلك لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم[4] ، ويرى البعض أن بكة موضع البيت ، ومكة ما حوله ، أو أن

---

(1) سبأ : مدينة بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام ، بناها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانت مدينة حصينة كثيرة الأهل طيبة الهواء عذبة الماء كثيرة الأشجار كثيرة أنواع الحيوان ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ...﴾(سبأ: من الآية15) ، ينظر : القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، ص14 .

(2) المفصل ، ج4 ، ص9 .

(3) سورة آل عمران الاية : 96 .

(1) الفراهيدي ، الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الازدي البصري(ت175هـ/791م) ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، ط2 ، دار ومكتبة الهلال ، (بغداد – 1985م) ، ج2 ، ص285 ؛ الجوهري ، ابو نصر

بكة اسم القرية ، ومكة منزل بأسفل ذي طوى فيه أبيات[1] ، وقيل : البيت مكة وما والاه بكة[2] ، أو هما اسمان للبلدة والباء والميم يتعاقبان[3] ، وقيل : إنما سميت بكة لأنهم يأتونها من كل جانب حجاجاً[4] ، وروي : " أن بكة هي الكعبة وحول بكة مكة وحول مكة الحرم "[5] ، وسميت بكة لأنه يجتمع فيها الرجال والنساء جميعاً في الصلاة [6] .

إسماعيل بن حماد الفارابي (ت393هـ/1002م) ، الصحاح في اللغة ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط4 ، دار العلم الملايين ، (بيروت – 1987م) ، ج1 ، ص390 ؛ الزمخشري ، أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت538هـ/1143م) ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعرفة ، (بيروت – بلا ت) ، ج1 ، ص126؛ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (666هـ/1267م) ، مختار الصحاح ، ط2 ، مكتبة لبنان ناشرون ، (بيروت – 1995م) ، ص73 ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج1 ، ص1206 ؛ ابن الضياء ، أبو البقاء محمد بن احمد المكي الحنفي (854هـ/1450م) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق : علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) ، ص122 .

(2) البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/1094م) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1996م) ، ج1 ، ص269 ؛ ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت606هـ/1209م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، (بيروت – 1979م) ، ج2 ، ص389 ؛ البعلي ، المطلع ، ص187 .

(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص475 ؛ الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1494م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان ، (بيروت–1984م)، ص93.

(4) ابن منظور ، لسان العرب ، ج10 ، ص402 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص6656 .

(5) ابن ابي خيثمة ، ابو بكر احمد بن زهير بن حرب (ت279هـ/892م) ، التاريخ الكبير ، تحقيق : صلاح فتحي هلل ، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، (القاهرة – 2004م) ، مج1 ، ص141 .

(6) المقدسي ، أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت322هـ/933م) ، البدء والتاريخ ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) ، ج2 ، ص19 ؛ البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ/1338م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – 1992م) ، مج1 ، ص214 .

(7) النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة – 1023م) ، ج1 ، ص313 .

ويبدو أن الرأي الأول القائل : أن اسم بكة يعني ازدحام الناس ، وأن الأقدام يبك بعضها بعضاً هو رأي المفسرين[1] ، والرأي الثاني القائل : أن بكة هي موضع البيت الحرام ، وأن مكة هي المدينة هو رأي المؤرخين[2] .

وفي سبب استعمال كلمة (بكة) بالباء مرة ، ثم (مكة) بالميم في آية أخرى ، يذكر احد الباحثين : " وسبب إيرادها بالباء في آل عمران أن الآية في سياق الحج ، فجاء بالاسم (بكة) من لفظ (البك) الدال على الازدحام ، لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً أي : يزحم بعضهم بعضاً ... ، وليس السياق كذلك في آية الفتح ، فجاء بالاسم المشهور لها أعني (مكة) بالميم ، فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه ، وقيل : وردت بالباء في سورة آل عمران مراعاة لتعداد الحرف (ميم) ، إذ لو وردت الكلمة بالميم لأختل الإحصاء في هذه السورة ، إذ أن مجموع مكررات حروف (الم) التي تبدأ بها هذه السورة (5662) مرة وهي تساوي 19 × 298 ، ولو وردت (بكة) بالميم لكان المجموع (5663) ، وهذا العدد لا يقبل القسمة على (19) الذي هو القاسم المشترك للحروف المقطعة كما يقال والله أعلم "[3] .

ثانياً . أم القرى :

---

(1) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : صدقة حميد العطار ، ط2 ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) ، ج28 ، ص18 ؛ القرطبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي (ت671هـ/1272م) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، ط4 ، عالم الكتب ، (الرياض – 2003م) ، ج4 ، ص138 ؛ ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م) ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي محمد سلامة ، ط2 ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، (الرياض – 1999م) ، ج2 ، ص78 .

(2) الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت250هـ /864م) ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : عبد الملك عبد الله دهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2003م) ، ج1 ، ص188 ؛ القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت821هـ/1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط2 ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة – 1914م) ، ج4 ، ص249 .

(3) السامرائي ، فاضل صالح ، التعبير القرآني ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل – 1989م) ، ص156–157 .

هي مكة شرفها الله تعالى[1] ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿... ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ...﴾[2] ، وقد جاء عند أهل الأخبار أن أول ما خلق الله عز وجل من الأرض مكان الكعبة ، ثم دحا (بسط)[3] الأرض من تحتها ، فهي سرة الأرض ووسط الدنيا وأم القرى[4] ، أو أنها سميت بذلك لأن أهل القرى يرجعون إليها في الدين والدنيا حجاً واعتماراً وجواراً[5] ، أو لأنها أقدم الأرض ، أو أعظم القرى شأناً لأن فيها بيت الله تعالى ، ولما جرت العادة بان الملك وبلده مقدمان على جميع الأماكن سميت أماً لأن الأم متقدمة[6] .

ثالثاً . البلد :

ورد هذا الاسم في قوله تعالى : ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ﴾[7] ، **لقد سمى الله تعالى مكة في هذه الآيات المباركة بالبلد ، والبلد لغةً : " كل موضع مستحيز من الأرض عامراً أو غير عامر خالٍ أو مسكون ، والطائفة منه بَلدة ، والجمع** البلاد "[8] ، وقد أقسم الله تعالى بمكة لفضلها ، فأنه جعلها حرماً آمناً ، وهي بلد النبي ﷺ ، وحرم خليله إبراهيم ومنشأ إسماعيل (عليهما السلام)[9] .

---

(1) الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم (ت328هـ/939م) ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1992م) ، ج2 ، ص82 ؛ الجوهري ، الصحاح في اللغة ، ج7 ، ص165 .

(2) سورة الشورى الآية : 7 .

(3) الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المقري (ت770هـ/1368م) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ط2 ، المكتبة العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص190 .

(4) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج2 ، ص19 .

(5) السيوطي ، الحجج المبينة ، ص21 .

(6) ابن ظهيرة ، جمال الدين بن أبي بكر بن علي القريشي (ت986هـ/1578م) ، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة – 1921م) ، ص175 ؛ الصباغ ، محمد بن احمد بن سالم المالكي المكي (ت1321هـ/1903م) ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، تحقيق : عبد الملك عبد الله الدهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2004م) ، ج1 ، ص486 ؛ الغازي ، عبد الله المكي الحنفي (ت1365هـ/1945م) ، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ، تحقيق : عبد الملك عبد الله الدهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2009م) ، مج1 ، ص202 .

(7) سورة البلد الآيات : 1–2 .

(8) الفراهيدي ، العين ، ج8 ، ص42 .

(1) الطبري ، تفسير ، ج24 ، ص429 ؛ القرطبي ، تفسير ، ج2 ، ص60 .

رابعاً . البلد الأمين :

ورد هذا الاسم في قوله تعالى : ﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ﴾[1] ، والبلد الأمين : مكة وأمانتها أن تحفظ من دخلها جاهليةً وإسلاماً من قتل أو سبي ، كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه[2] ، أو انه آمن من الأعداء أن يحاربوا أهله أو يغزوهم[3] ، ، " وقد كانت مكة آمنة قبل مبعث النبي ﷺ لا يغير عليها احد ، وقيل : أنها كانت أمناً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام من لدن آدم عليه السلام من الخسف والزلزال والطوفان وغيرها من أنواع المهلكات ، وإنما تأكد ذلك بدعائه عليه السلام "[4] ، ودعاؤه ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ئۇ ئې ئې ئې ئى ئى ئد ى﴾[5] .

خامساً . البلدة :

كما جاء في قوله تعالى على لسان النبي ﷺ : ﴿ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ﴾[6] ، قال أهل التفسير : البلدة هي مكة ، الذي حرمها ، جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ، وذلك من نعم الله على أهلها في رفعه العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب[7] .

سادساً . القريـــــة :

وقد ورد هذا الاسم في قوله تعالى : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ﴾[8] ، وقد ذكر المفسرون : " أن

---

(2) سورة التين الآيات : 1-3 .
(3) الاستانبولي ، ابو الفداء اسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي (ت1127هـ/1715م) ، روح البيان ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) ، ج10 ، ص467 ؛ الألوسي ، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ/1854م) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1994م) ، ج15 ، ص393 .
(4) الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني (ت1393هـ/1973م) ، أضواء البيان في إيضاح القران بالقرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت – 1995م) ، ج9 ، ص5 .
(5) الطريحي ، فخر الدين بن محمد النجفي (ت1085هـ/1674م) ، مجمع البحرين ومطلع النيرين ، تحقيق : احمد الحسيني ، مكتبة الثقافة العراقية ، (النجف – 1961م) ، ص319 .
(6) سورة البقرة الآية : 126 .
(7) سورة النمل الآية : 91 .
(8) المحلي ، جلال الدين محمد بن احمد (ت864هـ/1459م) والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م) ، تفسير الجلالين ، دار الحديث ، (القاهرة – د.ت) ، ص505 ؛ الاستانبولي ، روح البيان ، ج6 ، ص377 .
(1) سورة النحل الآية : 112 .

معنى القرية الآمنة هو مكة التي سكنها أهل الشرك ، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضهم بعضاً ، ويسبى بعضهم بعضاً ، وأهل مكة لا يغير عليهم احد ولا يحاربون في بلدهم ، ويأتي أهلها معايش واسعة كثيرة من كل مكان وناحية " [1] .

سابعاً . صَلاح :

سميت بذلك لأن فيها صلاح الخلق ، أو لأنها تُعمل فيها الأعمال الصالحة ، فهي محل الصلاح والفلاح[2] ، وقد جاء في قول حرب بن أمية[3] مخاطباً أبا مطر الحضرمي[4] يدعوه الى الى حلفهُ ونزول مكة :

أبــا مَطَرٍ هَلُمَ الى صَـلاحِ ... فَيَكْفيكَ النَدامى مِنْ قُــريش
فَتَأمَن وَسْطَهُم وتَعيشَ فيهم ... أبا مَطَرٍ هُديتَ لِخَيرِ عَيش
وتَنــزلَ بَلــدَةً عُزْت قَديماً ... وتأمن أنْ يَزورَكَ ربُ جَيش

ثامناً . أم رُحم :

سميت مكة بهذا الاسم لأن الرحمة تنزل بها[5] ، والناس يتراحمون فيها ويتوادعون[1] ويتوادعون[1] ويتواصلون[2] ويتهادون[3] ، وعند أهل اللغة أن معنى (أم رُحم) : أصل الرحمة[4] .

---

(2) مجاهد ، أبو الحجاج بن جبير المكي القرشي المخزومي (ت104هـ/722م) ، تفسير مجاهد ، تحقيق : محمد عبد السلام ابو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، (القاهرة – 1989م) ، ص426 ؛ الطبري ، تفسير ، ج17 ، ص310 ؛ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ/1058م) ، النكت والعيون ، تحقيق : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج3 ، ص218 .

(3) السيوطي ، الحجج المبينة ، ص21 .

(4) هو أبو عمرو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي ، والد أبو سفيان وأحد سادات مكة ، ينظر : (ترجمة ابو سفيان بن حرب) ، البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892هـ) ، أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف ، (القاهرة – 1959م) ، ج2 ، ص78 .

(5) هو العلاء بن الحضرمي ، واسمه عبد الله بن عباد من حضرموت حليف بني امية ، ولاه النبي ﷺ البحرين ، وتوفى الرسول ﷺ ، فأقره ابو بكر الصديق ﷺ عليها في خلافته كلها ، ثم أقره عمر بن الخطاب ﷺ ، وتوفي في خلافته سنة (14هـ) ، وقيل (21هـ) ، ينظر : ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت630هـ/1232م) ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل احمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1996هـ) ، ج4 ، ص81 .

(1) الشربيني ، محمد بن احمد الخطيب (ت977هـ/1569م) ، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ص190 .

تاسعاً . القادس والمقدسة والقادسة والقادسية :

" سميت بذلك لأن إبراهيم عليه السلام دعا لها بالقدس ، وأن تكون مَحِلة الحاج "[5] ، والقادس : البيت الحرام[6] ، وهو مأخوذ من التقديس أي التطهير يعني أنها تطهر من الذنوب[7] .

عاشراً . كوثى :

سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " اخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم فقال : نحن قوم من كوثى ، فقال البعض : أراد كوثى العراق وهي سرة السواد التي ولد بها إبراهيم عليه السلام ، وقال آخرون : أراد بقوله كوثى مكة ، لأن محلة بني عبد الدار يقال لها كوثى ، فأراد رضي الله عنه : إنا مكيون من أم القرى "[8] ، وعلى الرغم من أن الرأي الثاني ضعيف عند أكثر المؤرخين وأهل اللغة ، ولكن يبدو لنا أن إطلاق هذا الاسم على مكة من باب إطلاق الجزء على الكل ، وهو مستخدم في لغة العرب ، وعند ابن عساكر أن كوثى : اسم مكة بالعبرانية[9] .

أحد عشر . الرأس :

---

(2) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص249 ؛ الالوسي ، جمال الدين ابو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمود البغدادي (ت1342هـ/1923م) ، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق : محمد بهجت الاثري ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص228 .

(3) السيوطي ، الحجج المبينة ، ص21 .

(4) الصباغ ، تحصيل المرام ، ج1 ، ص486 .

(5) الزمخشري ، الفائق ، ص126 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج12 ، ص230 .

(6) القزويني ، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ/1004م) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (بيروت – 1979م) ، ج5 ، ص64 ؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص248.

(7) ابن منظور ، لسان العرب ، ج6 ، ص170 .

(8) البكري ، معجم ما استعجم ، ص500 ؛ ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص158 .

(9) الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص1298 .

(1) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ/1175م) ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر ، (بيروت – 1995م) ، ج61 ، ص100 .

أطلق هذا الاسم على مكة لأنها مثل رأس الإنسان[1] ، أي مثله في الفضيلة ، فكما أن رأس الإنسان أشرف عضو فيه كذلك مكة أشرف بقاع الأرض[2] .

اثنا عشر . وما بعدها :

الناسة[3] ، والباسة[4] ، والنساسة[5] ، وأم زحم[6] ، والحاطمة[7] ، ثم العرش أو العريش[8] ، والبنية[9] ، وبرة[10] ، والرتاج[11] ، والبلد الحرام ، وسبوحة[12] وغيرها من الأسماء الكثير دلالة على شرف المسمى ومكانته ، وحسبنا في ذلك ما ذكره النووي في قوله : " أعلم إن كثرة الأسماء تدل على عِظَم المسمى "[13] ، وروى أحد مؤرخي مكة : أن الهنود القدماء كانوا يطلقون على مكة (مكشيشا) ، او (موكشيشانا)[14] ، وجمعت جملة من أسماء مكة في سبعة أبيات نظمها القاضي أبو البقاء بن الضياء الحنفي صاحب كتاب (تاريخ مكة المشرفة) بقوله :

---

(2) النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، تحقيق : شركة العلماء بمساعدة إدارة المطبعة المنيرية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج4 ، ص156 .

(3) الصباغ ، تحصيل المرام ، ج1 ، ص487 .

(4) الناسة : لقلة الماء بها : ينظر : الجوهري ، الصحاح في اللغة ، ج3 ، ص983 .

(5) الباسة : لأنها تبس من ألحد فيها أي تحطمه وتهلكه ، ينظر : الزمخشري ، الفائق ، ج1 ، ص126 .

(6) النساسة : من النَّس وهو اليُبس ، ينظر : ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ/1065م) ، المخصص ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1996م) ، ج4 ، ص117 .

(7) أم زحم : من ازدحام الناس فيها : ينظر : السيوطي ، الحجج المبينة ، ص22 .

(8) الحاطمة : لأنها تحطم من يستخف بها ، ينظر : النويري ، نهاية الارب ، ج1 ، ص314 .

(9) العرش او العريش : بيوت مكة سميت العرش ، لانها اعمدة تنصب ويظلل عليها بعريش النخل ، ويقال لها : عروش ، و(العريش) جمع عُرش ، ينظر : ابن سلّام ، غريب الحديث ، ج4 ، ص21 .

(10) البنية : الكعبة ، يقال : لا ورب هذه البنية ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج8 ، ص382 .

(11) برة : لبرها للمؤمنين ، وقال بعضهم : لانها بلدة الابرار وهي مبرورة بهم ، ينظر : الصباغ ، تحصيل المرام ، ج1 ، ص488 .

(12) الرتاج : رتاج الكعبة ، بابها ، ينظر : ابن سلّام ، غريب الحديث ، ج4 ، ص325 .

(13) سبوحة : وادٍ بعرفات ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص475 .

(1) النووي ، تذهيب الأسماء واللغات ، ج4 ، ص157 .

(2) الكردي ، محمد طاهر المكي (ت1400هـ/1979م) ، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، مكتبة النهضة الحديثة ، (مكة المكرمة – 2000م) ، ج1 ، ص63 .

لِمَكةَ أسْماءٌ ثَلاثونَ قَدْ غَدَتْ ... ومِنْ بَعدِ ذلكَ اثنانِ مِنْها اسمُ بَكةَ
صَلاح وكُوثى والحَرامُ فَقادسٍ ... وحاطِمةُ البَلدُ العَريش بقَريَـــــة
ومُعطشـــة اُمُ القُرى رَحِمُ ناسَة ... ونَسْاسة رأس بفتـحٍ لهَمْـــــزة
مقَـــدَسَةٌ والقادِسيّـــةُ باسَـةٌ ... ورأس رَتاج أمُ كُوثى كَبَـــــرة
سُبْوُحَة عَرش أمُ رَحْمَةٍ عَرْشُنا ... كَذا حُرِمَ البَلَدُ الحَرام كَبَلْـــــدَة
كَذاكَ اسمُها البَلَدُ الأمينِ لأمْنِها ... وبالمَسْجِد الأَسْنى الحَرام تَسَمْتِ
وما كَثُرَتُ الأَسْماءِ إلا لفَضْلِها ... حَباها بِها الرَّحْمنِ مِنْ أجْلِ كَعْبَة[1]

نشأة مدينة مكة :

يجد الناظر في تاريخ العرب قبل الإسلام غموضاً وتناقضاً في روايات الإخباريين ، وذلك شأن أي تأريخ يعتمد الروايات الشفوية واستمد مادته من أقوال الناس ومن ذكرياتهم عن الماضي البعيد ، ولو كان هناك منبع قديم مكتوب لما حصل هذا التناقض والاختلاف الذي نجده فيما كتب عن مكة شرفها الله ، ورغم أنها مدينة قديمة يصل تأريخ نشوئها الى بداية خلق الأرض ، فقد مر بنا أن أول ما خلق الله من الأرض مكان الكعبة ، ثم بسط الأرض من تحتها ، فهي أم القرى .

وإن هذه المدينة الحصينة بجبالها ظهرت تأريخياً بسُكنى إسماعيل بن إبراهيم وأمه هاجر (عليهم السلام) فيها بصريح قول الله تعالى : ﴿ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ...﴾[2] ، وعلى هذا فأن ظهورها كان في منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد الميلاد تقريباً ، وقد كان نشوؤها مصحوباً بقداسة دينية ببناء بيت الله الحرام ، ومنذ ذلك الحين غدت مكة محط أنظار العرب ومهوى أفئدتهم[3] ، استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ﴾[4] .

---

(3) الخضراوي ، احمد بن محمد بن احمد بن مسعود المكي الشافعي (ت1327هـ/1909م) ، العقد الثمين في فضائل البلد الأمين ، مطبعة وادي النيل ، (القاهرة – 1872م) ، ص10 .

(1) سورة إبراهيم الآية : 37 .

(2) سلامة ، عواطف أديب ، قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني ، دار المريخ للنشر ، (الرياض – 1994م) ، ص20 .

(3) سورة إبراهيم الآية : 37 .

أما الكعبة المشرفة التي هي الأساس في بناء ونشوء مدينة مكة فأن بناءها في هذا الموضع قد مر بمراحل حسب ما روى المؤرخون ، ولعل أول بناء لها على ما ذكره الازرقي في تأريخه روايةً عن محمد بن علي بن الحسين ﷺ[1] ، هو بناء الملائكة ، اذ قال : " ثم أن الله تبارك وتعالى بعث ملائكته فقال : أبنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره (أي البيت المعمور) ، فأمر الله سبحانه وتعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت ، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور "[2] ، وكان ذلك قبل خلق آدم عليه السلام .

والبناء الثاني : كان بعد هبوط ادم الى الأرض ، فقد ذكر الازرقي ذلك مسنداً إلى عبد الله بن عباس ﷺ أن آدم عليه السلام بعد أن أُهبط سأل الله تعالى فقال : " يا رب ما لي لا اسمع أصوات الملائكة ولا حسُّهم؟ قال : خطيئتك يا آدم ، ولكن أذهب فأبنِ لي بيتاً فطف به واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي "[3] .

أما البناء الثالث : فقد ذكره أبو الوليد الازرقي كذلك بسنده الى وهب بن منبه[4] وفيه : أن البيت كان زمن آدم عليه السلام عبارة عن خيمة من الجنة ، ثم أنها رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام ، فبنى أولاده مكانها بيتاً بالطين والحجارة فلم يزل معموراً حتى زمن نوح عليه السلام ، فنسفه الغرق وأعفا مكانه[5] ، وذكر ان الذي بناه من أبناء آدم عليه السلام هوشيت عليه السلام[1] ،

---

(4) هو ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ الهاشمي المدني القرشي ، توفى سنة (114هـ) ، ينظر : البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (256هـ/869م) ، التاريخ الكبير ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن – د.ت) ، ج1 ، ص183 .

(5) أخبار مكة ، ج1 ، ص70 .

(6) المصدر نفسه ، ج1 ، ص72 .

(1) ابو عبد الله وهب بن منبه اليماني ، كانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء وسير الملوك ، وهو من الابناء (ابناء الفرس الذين دخلوا اليمن) ، توفي في المحرم سنة عشر ، وقيل : أربع عشرة ، وقيل : ست عشرة ومائة بصنعاء وعمره تسعون سنة ، ينظر : ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر الاربلي(ت681هـ/1282م) ، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – 1900م) ، ج6 ، ص36 .

(2) أخبار مكة ، ج1 ، ص94 .

وبقي البيت كذلك الى أن أمر الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام ببناء البيت ، قال تعالى : ﴿ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ﴾[2] ، وهو البناء الرابع .

واستمرت الكعبة مبنية قائمة في بطن الوادي المبارك ليس حولها جدار ولا دار ، وهي على ما تأسست لم يتغير فيها شيء الى أن قام العماليق بإصلاحها وترميم بنائها[3] وهذا هو البناء الخامس ، وفي عهد جرهم اجتاح مكة سيل عرمرم من سيولها الموسمية المفاجئة أدى الى تهدم بناء الكعبة ، فقامت جرهم بإعادة بنائها من جديد[4] للمرة السادسة في تاريخها .

ثم بعد قدوم قصي بن كلاب الى مكة وأخذه ولاية البيت من خزاعة هدم الكعبة وأعاد بناءها ، وجعل لها سقفاً اتخذه من الخشب وجريد النخل[5] وهو البناء السابع لها ، ثم أن قريشاً أعادت بناء الكعبة وتجديدها قبل مبعث النبي ﷺ[6] وهذا هو البناء الثامن ، وقد رأت قريش أن كعبتهم المقدسة قد طال العهد على بنائها وخشيت عليها من السيول ، لذلك قررت تجديد بناء الكعبة ، ووزعوا الأعمال بينهم ، فجعلوا شق باب الكعبة لبني عبد مناف وبني زهرة ، وما بين الركنين الأسود واليماني لبني مخزوم ومعهم قبائل أخرى من قريش ، وظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم ، وجعل شق الحجر لبني عبد الدار ، ولبني أسد بن عبد العزى وبني عدي بن كعب جهة الحطيم ، لكن قريش هابت هدم الكعبة وتخوفوا من ذلك ، فبدأ الوليد بن المغيرة المخزومي فراقبه الناس خشية وقوع الأذى به ، فلما أصبح معافاً غادياً الى عمله أقبل الناس معه على الهدم ، وجعلوا في

---

(3) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م) ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط4 ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) ، ص20 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1987م) ، ج2 ، ص47 .

(4) سورة البقرة الاية ، 127 .

(5) الفاكهي ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت272أو284هـ/885أو897م) ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله دهيش ، ط2 ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت – 1994م) ، ج5 ، ص138 .

(6) المصدر نفسه ، ج5 ، ص139–140 .

(1) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص173–174 .

(2) ابن الضياء ، تاريخ مكة المشرفة ، ص95 .

بنائه شروطاً منها : أن لا يقدموا إلا مالاً طاهراً حلالاً لا يدخله مهر بغي ولا مال ربا ، فقاموا بجمع الأحجار والأخشاب اللازمة ، وكانت من سفينة رجل رومي تحطمت على ساحل البحر ، واتفقوا مع نجار رومي أسمه (باقوم أو باطوم) للعمل في تسقيفها ، وقرروا أن يرفعوا باب الكعبة عن الأرض ، وألا يرقى إليها إلا بدرج لحمايتها من السيل وليتحكموا فيمن يدخلها من الناس ، ولما وصلوا الى موضع الحجر الأسود دب الخلاف بينهم ، وأراد كل حي منهم أن يكون له شرف وضع الحجر في مكانه بيده حتى احتكموا الى أول من يدخل عليهم من باب المسجد ، فكان النبي ﷺ فقالوا : هذا الأمين هو خير حكم بيننا ، فبسط ثوباً على الأرض ووضع الحجر عليه ، وطلب من سادة قريش ان يأخذوا جميعاً بأطراف الرداء حتى أوصلوه الى موضعه ، ثم حمله بيده ورفعه في مكانه وبنى عليه[1] .

وقد جمع عبد اللطيف بن أبي كثير مراحل بناء الكعبة في أبيات نذكرها :

بَنى الكَعْبَةُ الغَرْاءَ عَشْرٌ ذَكَرْتُهُم ... وَرَتَبْتُهُم حسب الذي أخْبَر الثِقة

مَـــــلائِكةُ الرَّحْمنِ ، آدمُ وأبِنُـهُ ... كَذاكَ خَليلُ اللهِ ثُـــمَ العَمالِقة

وجُــرْهُمٌ يَتْلوهُمُ قُصَي قُرَيشِهم ... كَذا ابْنُ الزُبَيرِ ثُمَ حَجّاجُ لاحِقه[2]

بناءً على ما تقدم يمكن القول أنَّ مدينة مكة هي مدينة قديمة ، بل هي أقدم مدن الأرض ، وقد حباها الله تعالى بمكانة وأهمية ، فجعل فيها بيته وجعلها مقصد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومحط أفئدة الناس أجمعين ، وهي بلدة النبي ﷺ وأهل بيته ، وعصمها وأهلها من فتن آخر الزمان ، واصبحت مهيئة لنشوء كيان سياسي واقتصادي متكامل فيها لاقترانه بقداسة دينية حظيت بها مدينة مكة المكرمة قبل الاسلام .

---

(3) الازرقي ، اخبار مكة ، ج1 ، ص159–164 ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ج1 ، ص225–230 .

(1) العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي الشافعي (ت1111هـ/1699م) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) ، ج1 ، ص67 .

المبحث الثاني
طبيعة مكة الجغرافية

جغرافية مكة :

يعود الفضل في ازدهار مكة وديمومتها قبل الإسلام الى ما حباها الله تعالى به من موقع جغرافي مهم منح أهلها السيادة على المنطقة ، فضلاً عما تشكله الكعبة المشرفة من مكانة دينية في نفوس العرب جميعاً حتى قبل الإسلام لتلك الأسباب وغيرها ، أصبحت مكة محطة تتجمع بها القوافل القادمة من بلاد العربية الجنوبية باتجاه بلاد الشام أو القادمة من بلاد الشام ذاهبة الى بلاد العربية الجنوبية ، هذه القوافل كان لابد لها أن تجد محطات تستريح بها من عناء السفر ، فكانت أهم هذه المحطات مكة ، لا بل هي محطة وسوق لبيع بضائع هذه القوافل ، ومن ثم تنطلق منها قوافل أخرى محملة ببضائع جديدة .

تقع مكة في وادٍ غير ذي زرع كما أخبر الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ

گ گ گ ﴾[1] ، تشرف عليها جبال جُرد تزيد في قسوة مناخها[2] ، ليس بها ماء غير ماء زمزم ، وهي بئر محفورة وآبار أخرى مَجَّة حفرها أصحاب البيوت ، أما المياه الجارية والعيون الغزيرة فليس لهما وجود هناك[3] .

والوادي على شكل سهل منبسط محاط بجبال ذات شعاب[4] تحيط بالوادي إحاطة كاملة ، أما موقعها من الأقاليم (الأقاليم السبع التي حددها أهل الجغرافية في تقسيمهم للعالم) ، فهي في الإقليم الثاني ، وهي مصر هذا الإقليم[5] ، وقد أغنت هذه الجبال على مر الزمن عن بناء سور لحماية المدينة ، فمن الممكن للقافلة التي تنزل في هذه البقعة أن تتحصن في شعابها[6] ، ويظهر من سكوت أهل الإخبار عن الإشارة الى وجود أُطم أو حصون وبروج في مكة للدفاع عنها ، إن هذه المدينة الآمنة لم تكن ذات حصون ولا سور يقيها من احتمال غزو الأعراب ، أو أي عدو لها ، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن مكة لم تكن قبل أيام (قصي) في هذا الوادي الذي يتمركزه (البيت) ، بل كانت على المرتفعات المشرفة عليه ، أما الوادي فكان حرماً آمناً يغطيه الشجر الذي أنبتته السيول ورعته عناية رب البيت ، ولم يكن ذا دور ولا سكن ثابت متصل بالأرض ، بل كان سكن من يأوي إليه الخيام ، وأما أهل المرتفعات فكانوا إذا داهمهم عدواً وجاءهم غزو اعتصموا برؤوس الجبال والمرتفعات المشرفة على الدروب ، وقاوموا العدو والغزو منها ، وبذلك يصير من الصعب على من يطمع فيهم الوصول إليهم ويضطر عندئذ الى التراجع عنهم فحماهم الله بهذه الرؤوس الجبلية التي أوجدها على مشارف الأودية والطرق المؤدية الى

---

(1) سورة ابراهيم الاية : 37 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص5 .

(3) ابو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن أيوب (ت732هـ/1331م) ، تقويم البلدان ، تحقيق : رينوه وماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، (باريس – 1840م) ، ص87 .

(4) الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت346هـ/957م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1937م) ، ص15 ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (ت350هـ/961م) ، صورة الأرض ، ط2 ، دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر ، (بيروت – 1992م) ، ص35 .

(1) المقدسي البشاري ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر (ت414هـ/1023م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط2 ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1903م) ، ص71 .

(2) الشريف ، احمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – د.ت) ، ص28 .

الحرم[1] ، وفضلاً عن ذلك يمكن القول : أن طبيعة أهل مكة باعتبارهم من القبائل التي تحب الصحراء والأرض المفتوحة أحد الأسباب التي جعلت مكة تبقى دون أسوار ، وهذه صفة للعديد من المدن الصحراوية .

وتقع مكة عند تقاطع درجتي العرض 21-25°5 شمالاً ، والطول 39-49°5 شرقاً[2] ، ويرتفع الوادي الذي تقع فيه مكة ويسمى (وادي إبراهيم) عن سطح البحر بما يقارب (909) قدماً أي (277)متراً على بعد (75)كم من ساحل البحر الأحمر (بحر القلزم) وتقع على الشرق من ميناء جدة ، والى الجنوب من المدينة المنورة (يثرب)[3] .

ولمعرفة جغرافية مكة بشكل أكثر دقة نورد النص الآتي : " وطول مكة من المعلاة[4] الى المسفلة[5] نحو ميلين ، وهو من حد الجنوب الى الشمال ، ومن أسفل اجياد الى ظهر قعيقعان نحو الثلثين من هذا وأبنيتها حجارة ، والمسجد في نحو الوسط منها ، والكعبة في وسط المسجد ، وباب الكعبة مرتفع عن الأرض نحو قامة وهو مصراع واحد ، وارض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب ، والباب بجانب قبة زمزم ، والمقام بقرب زمزم على خط محاذ للباب ، وبين يدي الكعبة مما يلي المغرب حائط مبني مدور وهو من البيت ، إلا انه لم يدخل فيه وهو الحجر والطواف يحيط به ، وبالبيت ... وسقاية الحاج التي تعرف بسقاية العباس على ظهر زمزم ، وزمزم فيما بينها وبين البيت ... "[6] .

---

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص8 .

(4) الشبكة الدولية للمعلومات ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة / مكة ، الأحد 2012/1/8م .

(5) سلامة ، قريش قبل الاسلام ، ص16 .

(1) المعلاة : هي الثنية عند المقبرة ، وهي أعلى مكة عند ذي طوى قرب شعب الشافعيين وابن الزبير عند جبل قعيقعان ، دخل النبي ﷺ منها الى مكة يوم الفتح ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج39 ، ص384 .

(2) المسفلة : هي منطقة جنوب المسجد الحرام ، وفيها مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب والخليفة ابو بكر الصديق ﷺ وحدها من الصفا الى اجيادين فما أسفل ، ومن زقاق البقر منحدراً الى دار عمرو بن العاص ودار ابن عبد الرزاق الجمحي ودار زبيدة ، فذلك كله من المسفلة ، ينظر : الفاسي ، تقي الدين محمد بن احمد الحسني المكي (ت832هـ/1428م) ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2000م) ، ج1 ، ص34 .

(3) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص15-16 ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص35-36 ؛ المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم ، ص71-72 .

جبال مكة :

تحيط الجبال الوادي الطويل الذي تقع فيه مكة من معظم الجهات كما ذكرنا ، وتخفيه حتى أن أبنيتها لا ترى للقادم ، إلا إذا اقترب منها وأطل على الوادي ، وقد سهلت هذه الجبال على أهلها مهمة الدفاع عنها ، غير أن في هذه الجبال وديااً وشعاباً تجري فيها السيول بعد الأمطار وكثيراً ما تهدد أبنية مكة ، وقد غرَّقت الكعبة وهدمتها عدة مرات ، كما أن هذه الشعاب كانت ملجأ لمن يكره أهل مكة أو يكرهونه[1] ، وأهم جبال مكة :

1 . جبل أبي قبيس :

يقع شرقي مكة[2] ، وهو مستدير كالقبة ، لو رمي سهم من أسفله لبلغ قمته ، ويرى الناظر من داخل المسجد الحرام الشمس وهي تشرق من فوقه[3] ، " ولونه أدكن الى البياض قليلاً ، وإنما قيل له : أبو قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه ، أو أنه أسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس عُرف به لأنه أول من بنى فيه ، وقيل : أنه عرف برجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنة عمه فنذرت أن لا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها فحلف ليقتلن قبيساً فهرب منه في الجبل المعروف به وأنقطع خبره ، فأما مات وأما تردى ، وكان يسمى في الجاهلية الأمين لأن الركن كان مستودعاً فيه ، وفي أصله الصفا ومنه يصعد إليه من ناحية المسجد ، ويصعد إليه أيضاً من شعب أجياد الصغير ، وأبو قبيس أحد الاخشبين ، وهو أقرب الجبال الى المسجد الحرام

---

(4) العلي ، صالح احمد ، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، (بيروت – 2000م) ، ص130 .

(1) القزويني ، آثار البلاد ، ص118 .

(2) اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت292هـ/904م) ، البلدان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2001م) ، ص153 ؛ ناصر خسرو ، أبو معين الدين الحكيم المروزي (ت481هـ/1088م) ، سفرنامة ، تحقيق : يحيى الخشاب ، ط3 ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت – 1983م) ، ص121 .

، وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة "[1] ، وقد روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال : " أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس "[2] .

2 . جبل قعيقعان :

هو الاخشب الثاني بعد أبي قبيس ويقابله من ناحية الشمال[3] ، سمي قعيقعان لقعقعة السلاح عليه[4] ، وهو جبل أخضر يقابل الكعبة ما بين الركن العراقي والميزاب[5][6] ، ويذكر أن حجارة البيت أخذت منه[7] ، ومن قعيقعان الى الكعبة أثنا عشر ميلاً[8] ، ويبلغ ارتفاعه (1401) قدماً أي (427) متراً[9] .

---

(3) البكري ، المسالك والممالك ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – 1992م) ، ج1 ، ص401 ؛ ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى ، (ت749هـ/1348م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : عبد الله بن يحيى السريجي ، المجمع الثقافي ، (أبو ظبي– 2003م) ، ج1 ، ص91–92 .

(4) ابو عروبة ، الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني (ت318هـ/930م) ، الأوائل ، تحقيق : مشعل بن باني الجبرين المطيري ، دار ابن حزم ، (بيروت – 2003م) ، ص40 .

(1) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص93 .

(2) الازدي ، جمهرة اللغة ، ج1 ، ص156 .

(3) الميزاب : مجرى او قناة من معدن او حجر بارز عن سمت واجهة البناء من الاعلى ، يثبت احد طرفيه عموديا على الجدار ويميل الطرف الآخر قليلا الى الاسفل حتى ينحدر منه ماء المطر الذي يتجمع على السطح . ينظر : رزق ، عاصم محمد ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، مكتبة مدبولي (القاهرة – 2000) ص306.

(4) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص93 .

(5) الهروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت611هـ/1214م) ، الإشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – 2002م) ، ص77 .

(6) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص379 .

(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص17 .

3 . جبل الخندمة :

هو الجبل المستعلي على أبي قبيس من ناحية المشرق ، وهو جبل أحمر محجر فيه صخرة كبيرة بيضاء كأنها معلقة[1] ، وعنده تجمع صفوان بن أمية[2] وعكرمة بن أبي جهل[3] وسهيل بن عمرو[4] وغيرهم ليقاتلوا المسلمين عام الفتح سنة (8هـ)[5] ، وفيه تحصن أهل مكة عندما أحاط بهم القرامطة[6] وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا جميع ما كان كان في الكعبة الى أن رده الله تعالى الى موضعه ، تحته شعب ينسب الى علي بن أبي طالب ﷺ[7] .

4 . جبل أجياد :

---

(8) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص93 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص223 .

(9) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، يكنى أبا وهب ، أسلم بعد الفتح ، وتوفي بمكة سنة (42هـ) ، ينظر : خليفة بن خياط ، أبو عمرو بن خليفة العصفري البصري (ت240هـ/854م) ، طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت – 1993م) ، ص59 .

(10) هو عكرمة بن أبي جهل وأسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم ، أسلم بعد فتح مكة (8هـ) ، وحسن أسلامه ، واستشهد بالشام يوم اجنادين سنة (13هـ) ، ينظر : ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت230هـ/844م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1990م) ، ج7 ، 284 .

(11) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن عامر بن لؤي القرشي ابو زيد ، أسلم بالجعرانة بعد حنين ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن أسلامه خرج غازياً في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ الى الشام ومات بها في طاعون عمواس سنة (18هـ) ، ينظر : ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ التميمي البستي(ت354هـ/965م) ، الثقات ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن – 1973م) ، ج3 ، ص171 .

(12) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص392 .

(1) القرامطة : نسبة الى حمدان قرمط أحد دعاة الباطنية ومن بدعهم القول : بأبطال الفرائض من صلاة وحج وغير ذلك وإباحة المحرمات ، وكان ظهورهم سنة (278هـ) ، ودخلوا مكة سنة (317هـ) في خلافة المقتدر فقتلوا الحجيج ورموهم في بئر زمزم وقلعوا باب الكعبة وأخذوا كسوتها والحجر الأسود فبقي عندهم سنين ، وكانت مدة خروجهم ستاً وثمانين سنة ، ينظر : عبد القاهر البغدادي ، أبو منصور بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي(ت429هـ/1037م) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، ط2 ، دار الأفاق الجديدة ، (بيروت – 1977م) ، ص272.

(2) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص92 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص223 .

هو الجبل الأخضر العالي بغربي المسجد الحرام ، يقابل من مكة الركن اليماني يخرج إليه من باب إبراهيم عليه السلام ، ويقابل قعيقعان من ناحية الغرب[1] ، ويبلغ ارتفاعه (1332) قدماً أي (406) متراً تقريباً[2] ، وأجياد جمع جواد من الخيل[3] .

5 . عرفات (جبل الرحمة) :

ورد اسمه في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ... ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ... ﴾[4] ، وهو جبل مشرف على آخر مكة ، وسمي بهذا الاسم لأن جبريل عليه السلام عرف إبراهيم عليه السلام المناسك ، فلما وقفه بعرفة قال له : عرفت؟ قال : نعم ، فسميت عرفة[5] ، وقيل : أنه سمي عرفات لأنه كان موقف النبي ﷺ يوم عرفة[6] .

6 . الصفا والمروة :

وهما جبلان بين بطحاء مكة والمسجد ، أما الصفا : فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي ، ومن وقف على الصفا كان بجانب الحجر الأسود ، والمشعر الحرام بين الصفا والمروة[7] ، والمروة : جبل مائل الى الحمرة الحمرة ، وهي في جانب مكة الذي يلي قعيقعان[8] ، وقد جاء في التنزيل : ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ﴾[9] .

7 . جبل حراء :

---

(3) الحميري ، الروض المعطار ، ص12 .
(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص18 .
(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص104 .
(6) سورة البقرة الاية : 198 .
(7) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص104 .
(8) ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت614هـ/1217م) ، رحلة ابن جبير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (بيروت – د.ت) ، ص175 .
(1) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص411 ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص119 .
(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص116 .
(3) سورة البقرة الاية : 158 .

يقع في شمال شرق مكة ، وهو أول حد للأبطح (الوادي) على بعد ثلاثة أميال من مكة ، ويبلغ ارتفاعه (2080) قدماً أي (634) متر تقريباً[1]، وفي أعلاه الغار المشهور المشهور (غار حراء) الذي أمه المتحنثون النساك الزاهدون عن عبادة الأوثان للتأمل والتعبد[2] ، وقد كان الرسول ﷺ يتعبد فيه حتى جاءه الوحي ، فقد روى البخاري بسنده عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت : " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي ... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ... "[3] ، واعتاد كبار قريش اللجوء الى حراء لدعوة آلهتهم عند حلول المحن والمصائب ، وسمي جبل النور بعد أن شع فيه نور الوحي وهدايته بالحق المبين ، الإسلام ديننا القويم[4] .

8 . جبل ثور :

هو من جبال مكة على مقدار فرسخ[5] منها في الطريق الى اليمن ، وفيه الغار الذي أوى إليه رسول الله ﷺ حين خروجه مهاجراً ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه[6] ، ويبلغ ارتفاعه (2490) قدماً أي (759) متر تقريباً[7] .

9 . جبل ثبير :

---

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص19 .

(5) ابن جبير ، رحلة ، ج2 ، ص233 .

(6) البخاري ، الجامع الصحيح ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، ط3 ، دار ابن كثير ، (بيروت – 1987م) ، ج1 ، ص4 .

(7) جواد علي ، المفصل ، ج6 ، ص404 .

(1) الفرسخ : بفتح ثم سكون وجمعه فراسخ ، مقياس من مقاييس المسافة مقداره ثلاثة أميال ، والتي تساوي اثنا عشر ألف ذراع أي (5544) متراً ويساوي (6) كيلو متر، ينظر : قلعجي ، محمد رواس وحامد صادق قنيبي ، معجم لغة الفقهاء ، ط2 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت – 1988م) ، ص343 .

(2) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية ، (الرباط – 1996م) ، ج1 ، ص384 .

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص19 .

وهو بمكة قرب منى[1] ، وهو جبل مبارك يقصده الزوار لأنه أهبط عليه الكبش الذي فدي به إسماعيل عليه السلام[2] ، وهو أعلى جبال مكة وأعظمها يكون ارتفاعه ميل ونصف تقريباً[3] ، ولونه أسود كثير الحجارة ، قيل : أنه عرف برجل من هذيل مات ودفن فيه ، فعرف به الجبل[4] .

10 . شامة وطفيل :

جبلان على نحو ثلاثين ميلاً جنوب مكة[5] ، وطفيل : بفتح الطاء وكسر الفاء اسم شاعر[6] ، وذكرا في الشعر الذي قاله بلال رضي الله عنه عنه بعد الهجرة الى المدينة متشوقاً الى مكة :

وَهَلْ أَرِدْنَ يَوْمَاً مِياهَ مَجَنَّةٍ[7] ... وَهَلْ يَبْدُونَ لي شامَةٍ وَطَفيلُ[8]

11 . الحجون :

---

(4) منى : بالكسر والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار ، سمي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص198 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، ص293 .

(5) ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر القرشي المعري الحلبي (ت852هـ/1448م) ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق : أنور محمود زناتي ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، (القاهرة – 2008م) ، ص277 .

(6) البكري ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص403 .

(7) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص96 .

(1) القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي (ت544هـ/1149م) ، مشارق الأنوار على صحاح الاثار ، دار التراث ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص327 .

(2) الزبيدي ، تاج العروس ، ج29 ، ص374 .

(3) مجنة : تقع على أميال يسيرة من مكة بناحية مر الظهران ، وهي سوق لكنانة تقوم في العشرة الأخيرة من ذي القعدة ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1187 .

(4) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج2 ، ص521 .

جبل مشرف على مكة يلي شعب الجزارين[1] ، عنده مقبرة أهل مكة[2] ، قال مضاض بن عمرو الجرهمي : يتشوق مكة لما أجلتهم عنها خزاعة :

كَأَنْ لَمْ يَكنْ بَينَ الحُجُونِ الى الصَفا ... أنيسٌ ولَمْ يَسْمُر بمَكةَ سامرُ[3]

وذكر أن الرسول ﷺ أمر أن تركز رايته فوق هذا الجبل يوم فتح مكة[4] .

12 . أبو دلامة : (غير أسم الشاعر)

جبل مطل على الحجون بمكة[5] ، كثيراً ما كان يسمع منه قبل الإسلام هواتف الجن[6] ، والادلم : من الجبال المليس الصخر المائل الى السواد[7] .

13 . الجبل الأبيض :

هو الجبل المشرف على فلق ابن الزبير ، وكان يسمى قبل الإسلام بالمستنذر[8] ، وفلق ابن الزبير طريق في الجبل عمله عبد الله بن الزبير ﷺ لأن المال الذي كان يأتيه من العراق عندما يدخل مكة يعلم الناس به فكره ذلك فعمل على تسهيل هذا الطريق ، فكان إذا جاءه مالاً دخل به ليلاً ولا يعلم به أحد[9] ، وسمي أبيضَ لأن حجارته بيضاء[10] .

14 . جبل كبكب :

---

(5) الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، تحقيق : احمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، (القاهرة – 1999م) ، ص96 .

(6) البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص383 .

(7) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص225 .

(8) شراب ، محمد محمد حسن ، المعالم الاثيرة في السنة والسيرة ، دار القلم ، (دمشق – 1990م) ، ص97 .

(9) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص459 ؛ البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص531 .

(10) البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص555 .

(11) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص459 .

(1) البكري ، المسالك والممالك ، ص402 .

(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج2 ، ص285 .

(3) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص1029 .

وموقع هذا الجبل خلف عرفة ، وهو الجبل الأحمر يجعله الواقف بعرفة خلف ظهره[1] .

15 . جبل قِدقِد :

جبل قرب مكة فيه معدن البرام[2] الذي يحمل الى سائر بلاد الدنيا ، وهو من الجبال الجبال التي لا يرتقى الى ذروتها[3] .

ومن خلال هذا السور الجبلي الذي أحاط بمكة ، فقد تحددت رقعتها ومداخلها السهلية وصار لها أربعة منافذ طبيعية بسبب وجود هذه الجبال ، الأول : ممر في الشمال الشرقي الى منى وعرفات ثم الى الطائف ، والثاني : في الشمال الغربي الى المدينة المنورة ، والثالث : من الغرب الى جدة ، أما الرابع : ففي الجنوب الى اليمن[4] .

.

وبطبيعة الحال فقد اشتملت مدينة مكة المكرمة على عدد من الاودية والشعاب التي تكونت نتيجة الطبيعة الجغرافية للمدينة والتي اشرنا الى بعض منها ضمناً وتركنا التفصيل فيها بسبب ان اسماء هذه الاودية والشعاب قد تغيرت عما كانت عليه قبل

---

(4) الهروي ، أبو منصور محمد بن احمد الازهري (ت370هـ/980م) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 2001م) ، ج10 ، ص349 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج9 ، ص211 .

(5) البرام : معدن يسحق ويستن به ويكون نافعاً للأسنان مبيضاً لها ، ينظر : ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج22 ، ص198 ؛ البصام ، خلدون ، علم المعادن في التراث العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد – 1999م) مج46 ، ج4 ، ص202.

(6) الحازمي ، زين الدين ابو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني (ت548هـ/1188م) ، الأماكن ، تحقيق : حمد محمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (الرياض – 1994م) ، ص764 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص311 ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص119 ؛ البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1068 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص20 .

(2) العلي ، المعالم العمرانية في مكة في القرنين الاول والثاني ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد – 1989م) مج40 ، ج3و4 ، ص5–38 .

(3) محمود ، محمود عرفة ، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، (القاهرة –1995م) ص20 .

الاسلام فضلاً عن وجود بحث قيم للدكتور صالح احمد العلي تناول فيه المعالم العمرانية في مكة بشيء من التفصيل[2] ومن ضمنها هذه الاودية والشعاب.

مناخ مكة :

يُعد المناخ من أهم العوامل الجغرافية التي تساعد في نشوء المدن وتوزيع السكان فيها ، ولعل في دراسته إعطاء صورة واضحة عن أهمية المدن من الناحية الجغرافية كنسبة درجات الحرارة ، ومقدار الأمطار الساقطة عليها ، وما يمر به طقس هذه المدن من تغيرات أخرى .

تعد شبه الجزيرة العربية من أشد المناطق جفافاً وحرارة ، ذلك أنه على الرغم من كون البحر يحيط بها من ثلاث جهات ، إلا أن هذه المساحات من الماء لم تستطيع التقليل من حدة ارتفاع درجات الحرارة في تلك الأجزاء الواسعة النادرة الإمطار ، فدرجة الحرارة في داخل شبه الجزيرة العربية مرتفعة عادة ولا تهبط في الصحراء إلى أقل من 43^5م نهاراً و38^5م ليلاً ، فالجو البحري لم يتغلب على ظاهرة الجفاف لأنه لا يكاد يصل الى أواسط الجزيرة بسبب مقاومة رياح السموم الشديدة الحرارة التي تمنعه من التغلغل الى داخل الجزيرة[3] ، وكذلك من أسباب ارتفاع درجات الحرارة في هذه المنطقة وقوعها في منطقة قريبة من خط الاستواء ، أو لأن معظمها يقع في الإقليم المداري الحار ، وإذا ما نظرنا الى ما يحيط الجزيرة من مسطحات مائية من جهتي الشرق والغرب أي الخليج العربي (خليج البصرة) والبحر الأحمر (بحر القلزم) ، فهي أضيق من أن تكفي لكسر حدة هذا الجفاف المستمر ، كذلك فأن المحيط الهندي الذي يقع الى الجنوب منها ، والذي يساعد على سقوط الأمطار في تلك المنطقة فأن مرتفعات حضرموت ، ومنطقة الربع الخالي تمنعان وصول تأثير هذا المحيط الى داخل مناطق شبه الجزيرة العربية[1] .

وبالنسبة لمناخ مكة فأنه جاف قاري حار جداً في الصيف ، فهي كما وصفها بعض الجغرافيين العرب بقولهم : " أنها حارة في الصيف ، إلا أن ليلها طيب قد رفع الله عنهم

---

(1) سليم ، أحمد أمين ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة – 1997م) ، ص26 .

مؤونة الدفء وأراحهم من كلف الاصطلاء "[1] ، وقد كان كفار قريش يعذبون بعض المسلمين الأوائل بإلقائهم فوق رمال مكة المحرقة نهاراً في رمضاء الصيف[2] .

ثم أن ارتفاع درجات الحرارة في مكة هو نعمة من نعم الله عليهم ، فقد جعل أجواءها صحية خالية من الأمراض ، والى ذلك يشير القزويني بقوله : " ويكثر لأهل الحجاز الجذام[3] لفرط الحرارة ، يحرق أخلاطهم فيغلب على مزاجهم السوداء ، سوى أهل مكة فأن الله كفاهم ذلك "[4] ، كذلك الأمراض السائدة في المناطق ذات المياه الوفيرة كالملاريا (الحمى الشديدة) التي تنتشر في خيبر[5] ويثرب (المدينة المنورة)[6] .

وتعتمد مكة في الحصول على المياه من الأمطار التي كانت تتجمع في برك ، وكذلك على مياه الآبار وأهمها زمزم[7] ، وإذا ما سقطت الأمطار لاسيما في الشتاء وأوائل الربيع فأنها تكون غزيرة وتسيل المياه بقوة من الجبال الى الوديان والشعاب مكونة سيولاً جارفة تهدد الأبنية في بطون الوديان ، وكثيراً ما كانت تفيض الكعبة من تلك السيول[8] ، وقد حاول سادة بعض القبائل إقامة عدد من السدود بوجه السيول لوقاية محلاتهم ، فمن ذلك ردم بني جمح ، وردم آل عبد الله[9] ، وسدود عملت فيما بعد زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وآخر زمن الحجاج والأزمان اللاحقة[10] .

---

(2) المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم ، ص71 ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص113 .

(3) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص130 .

(4) الجذام : علة تعفن الأعضاء وتشنجها وتقرحها ، وتبح الصوت ، وتمرط الشعر ، ينظر : الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف البلخي (ت387هـ/997م) ، مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – د.ت) ، ص184 .

(5) آثار البلاد ، ص86 .

(6) خيبر : هي ناحية على ثمانية برد من المدينة ، يسكنها اليهود ، وتشتمل على سبعة حصون ، ومزارع ونخل كثير ، فتحها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة ، وقد فتحت عنوة ثم صالحهم على الشطر من التمر والحب ، ثم أجلاهم عمر ﷺ في خلافته الى الشام ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص410 .

(7) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص130 .

(8) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص17 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص37 .

(1) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص131 .

(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج2 ، ص169–210 .

(3) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص131 .

أما الأشجار المثمرة فليس بمكة أو الحرم كله شجر مثمر ، كما أخبر بذلك الاصطخري إذ يقول : " وليس بجميع مكة فيما علمته شجر مثمر إلا شجر البادية ... وأما الحرم فلم أرَ ولم اسمع أن بها شجراً مثمراً إلا نخيلات رأيتها بفخ[1] ، نخيلات يسيرة يسيرة متفرقة "[2] .

ويبدو أن هذا يعود الى سبب أساسي هو عدم وجود مياه كافية لقيام مثل هكذا نوع من المزروعات .

وإذا ما صادف موسم أمطار جيدة ، فقد تنبت فيها بعض الأعشاب مدة قصيرة من السنة تكفي لرعي المواشي ، وقد تنبت بعض الأشجار الصحراوية في الجبال المحيطة بها[3] ، ويروى أن قصي بن كلاب حين أراد إسكان قريش بطحاء مكة هابت قريش قطع قطع الشجر الذي كان حول البيت فقطعها قصي بيده[4] ، وكانت هذه الأشجار من الشجر غير المثمر مثل الأثل والعضال الذي ينتج منه الفحم ، والطلع الذي يستخدم منه الصمغ العربي ، والأراك الذي تتخذ منه المساويك[5] ، ويبدو أن هذه المنتجات لم تكن تكفي لسد حاجة الناس اليومية لاسيما بعد أن كثر عدد ساكني بطحاء مكة حين استقرت قريش فيه بسبب قطع هذه الأشجار ، وهذا ما دعا الى استيراد المنتجات من الخارج عن طريق التجارة .

وتهب على شبه الجزيرة العربية بشكل عام أنواع من الرياح التي أطلق عليها الكتاب المسلمون عدد من التسميات ، فقد أطلقوا على الرياح التي تهب من جهة المشرق

---

(4) فخ : وادٍ بمكة بينه وبينها ثلاثة أميال ، وقيل : ستة أميال ، اغتسل فيه رسول الله ﷺ قبل دخوله مكة ، وفيه الوقعة التي قتل فيها الحسين بن علي بن الحسن ﷺ سنة (169هـ) ، وفيه مدافن عدد من الصحابة منهم عبد الله بن عمر ﷺ ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص119 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص436 .

(5) مسالك الممالك ، ص17 .

(6) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص131 .

(7) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط4 ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) ، ج2 ، ص259 .

(8) سليم ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب ، ص29 .

(القبول)[1] ، وهي عند المسعودي ريح الصبا نظراً لأنها ريح مقبولة طيبة تصبو إليها النفوس[2] ، وأطلقوا على رياح الشمال (التيسر) عكس التيمن او اليمين ، وهي رياح باردة تهب على الحجاز بعد أن تكون قد اجتازت هضاب الأناضول ومرتفعات بلاد الشام ، ولذلك عرفت أيضاً بالرياح الشامية ، كما عرفت بالحدواء لأنها تحدو السحاب أي تسوقه[3] ، وسميت الرياح التي تهب من جهة المغرب (الدَبُور) كما عند المسعودي : " وما جاء من وراء الكعبة فهي دَبُور "[4] ، وهي تهب مصحوبة بالأمطار ، لذلك عرفت أيضاً بالذاريات والمعصرات ، أما الرياح الرابعة فهي الرياح الجنوبية التي تأتي من جهة اليمن[5] .

وهذه الطبيعة الجغرافية لمدينة مكة المكرمة قد ساعدت في نشوء حكومة مستقلة فيها من خلال ما فرضته جبالها و اوديتها الت احاطت بها احاطت السوار بالمعصم فشكلت بذلك حصناً طبيعياً منيعاً ضد الاخطار المحدقة بالمدينة ، وكذلك فقد تحددت مخارج ومداخل المدينة من خلال هذا السور الطبيعي الذي اسهم من جانبه بتنوع التجارة مع البلدان المحيطة بها .

المبحث الثالث
طبيعة المجتمع القرشي

سكان مكة :

ذكر المؤرخون أنه قد سكن الكثير من القبائل مكة على مر العصور دون أن يذكروا معلومات دقيقة عنهم ، ولا يمكننا الاعتماد قطعياً على ما جاء في رواياتهم ، وذلك لأن

---

(1) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) ، ج2 ، ص180 .

(2) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط5 ، دار الفكر ، (بيروت – 1973م) ، ج1 ، ص217 .

(3) سليم ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب ، ص26 .

(4) مروج الذهب ، ج1 ، ص217 .

(5) سليم ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب ، ص27 .

أغلب أصحابها عاشوا في العصور الإسلامية المتأخرة ، وهي بعيدة عن تلك الحقبة التأريخية المتقدمة ، وهذا الأمر ينطبق على تأريخ مكة ، فأن أخبارها في العصور المتقدمة جاءت مضطربة في بعض الأحيان ، وهذا ما نجده في ذكرهم للأقوام التي سكنت فيها ، فلا نكاد نجد تسلسلاً تأريخياً دقيقاً يبين لنا تتابع تلك القبائل والأقوام وسكناها في مكة ، ومع ذلك سنحاول أن نتناول القبائل التي سكنت هذه المدينة حسب آراء أغلب المؤرخين ، والتي تكاد تجمع عليها المصادر والمراجع التأريخية .

1 . عـــاد :

ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ ﴾[1] ، وهم من سكان مكة والحرم ، ويطلق عليهم " عاد الثانية بطن من عاد الأولى ، وهم بنو بكر بن معاوية بن بكر بن عاد بن عوص ، أما عاد الأولى فهم قبيلة من العرب البائدة ، وهو بنو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام "[2] ، وقد سكنوا مكة بعد أن أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام ، كما جاء مرتباً في آيات القرآن الكريم[3] ، وكان العرب يضربون المثل بقوم عاد ويشيرون ، الى أنهم أقدم من العمالقة[4] .

2 . العماليق :

وهم من القبائل العربية البائدة[5] ، وقد أختلف المؤرخون في نسبهم ، فمنهم من ينسبهم الى عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام[6] ، أو الى عمليق بن اسليخا بن لوذ

---

(1) سورة هود الآية : 50 .

(2) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتب الإسلامية ، (القاهرة – 1980م) ، ص328 .

(3) دخيل ، حسن كاظم ، طريق الحج البري من الحيرة الى مكة قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2005م ، ص139 .

(4) زيدان ، جرجي ، العرب قبل الإسلام ، ط2 ، مطبعة الهلال ، (القاهرة – 1922م) ، ص76 .

(1) القلقشندي ، نهاية الارب ، ص150 .

(2) ابن هشام ، ابو محمد بن الملك بن هشام المعافري (ت213هـ/828م) ، السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، (بيروت – 1975م) ، ج1 ، ص8 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج1 ، ص206 .

ابن سام بن نوح عليه السلام[1] ، ومنهم من ينسبهم الى عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام[2] ، وعند المسعودي رأي آخر أنفرد به فيذكر : أنهم أبناء قيطور بن كركر بن حيدان ، ويطلق عليهم (أبناء كركر) ، ويقول : أنهم أول من سكن مكة بعد هاجر وإسماعيل (عليهم السلام)[3] ، في حين يرى صاحب تاريخ الخميس : أنهم قد سكنوا مكة قبل قدوم إبراهيم بزوجه هاجر وأبنه إسماعيل (عليهم السلام) ، وذكر : أن مساكنهم كانت على عرفة ثم انتقلوا منها الى ما حول زمزم بعد أن كلموا هاجر في ذلك وأخذوا الأذن منها[4] .

ويرى الازرقي : " أن العماليق حي كانوا يسكنون مكة ، وكانت لهم أموال كثيرة من خيل وإبل ، وقد أظهروا الظلم والمعاصي ، وفعلوا السيئات حتى سلبهم الله نعمتهم ، وسلط عليهم الجدب ، حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا في البلاد "[5] .

3 . جرهم :

سكنت جرهم مكة بعد العماليق ، وفي عهدهم نزلت هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام بوادي مكة وصاهرهم إسماعيل عليه السلام بعد أن وصل الى مصاف الرجال[6] ، وكانت ولاية جرهم للبيت قد استمرت الى ما يقارب (300) سنة[7] ، وهذا الرأي يتنافى مع إرجاع عهد عهد جرهم الى حياة إسماعيل عليه السلام لأن ولاية جرهم لمكة تنتهي في مطلع القرن الثالث الميلادي[8] ، وأن عهد إسماعيل عليه السلام يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد[1] .

---

(3) ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (ت290هـ/902م) ، الأعلاق النفيسة ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1988م) ، ص37 .

(4) ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي ، (ت808هـ،1405م) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت – 1989م) ، ج2 ، ص30 .

(5) مروج الذهب ، ج2 ، ص46 .

(6) الديار بكري ، حسين بن محمد الحسن ، (ت966هـ/1558م) ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، (بيروت – د,.ت) ، ج1 ، ص94 .

(7) أخبار مكة ، ج1 ، ص58 .

(8) حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط4 ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – 1996م) ، ج1 ، ص41 .

(1) دخيل ، طريق الحج ، ص141 .

(2) سيديو ، ل ، أ ، تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، (القاهرة – 2009م) ، ص32 ؛ حسن ، علي إبراهيم ، التاريخ الإسلامي العام ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – د.ت) ، ص92 .

وقد أشار أهل الأخبار أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان من أهل العراق ، وانه خرج منه بعد أن تعرضت دعوته الى توحيد الله للمحاربة من أهل كوثى العراق ، وحط في بلاد الشام مبشراً بدعوته ، ومنها اتجه الى مصر للغرض نفسه[2] ، وهناك تزوج من هاجر المصرية على زوجته الأولى سارة التي لم تكن تنجب الأطفال ، فرزقه الله من هاجر بإسماعيل عليه السلام[3] ، فقدم به وبأمه هاجر الى أرض الحجاز وسكن مكة ودعاهم بدعوته المعروفة في القرآن الكريم ، وبعد ذلك سكنت قبيلة جرهم اليمنية مكة ، فنشأ إسماعيل عليه السلام بينهم وتزوج امرأة جرهمية منهم فولدت له اثنا عشر ولداً[4] ، ثم أصبحت ولاية البيت بيد ابنه (نابت) الى ان توفى ، فولي البيت من بعده جده لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي ، وقد استمرت جرهم على ولاية البيت فترة طويلة إلى أن نزلت خزاعة فأزاحتهم عن ولاية البيت وأخرجتهم من مكة[5] .

وأصل جرهم من اليمن ، وهم من ولد يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد[6] ، ويشير ابن هشام الى : " أن جرهم قد بغوا بمكة واستحلوا خلالاً من الحرمة ، فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها سرقوه مرة بعد مرة حتى أن رجلاً منهم دخل البئر الذي حفره إبراهيم عليه السلام عند باب الكعبة ، وكان يلقى فيه ما يهدى لها فسقط عليه حجر فحبسه فيها ، فلما رأت خزاعة ذلك اجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ، فكانت الغلبة لهم وطردوا جرهم من مكة "[7] .

4 . خزاعة :

---

(3) مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص398 .

(4) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص55 .

(5) هيكل ، محمد حسنين ، حياة محمد ، ط3 ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة – 1956م) ، ص85–79 .

(6) ابن حزم ، محمد بن علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت456هـ/1063م) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، (القاهرة – 1962م) ، ص235 .

(7) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص57 .

(8) ابن خلدون ، تاريخ ، ج2 ، ص395 .

(1) السيرة النبوية ، ج1 ، ص105 .

هم فرع من قبيلة الأزد التي هاجرت من اليمن باتجاه بلاد الشام مروراً بالحجاز ومكة[1] ، وفي نسبهم خلاف بين المؤرخين ، فابن هشام يروي عنهم : " وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ... وخندف أمنا "[2] ، وأما ابن حزم فيذكر : " أنهم من ولد قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان "[3] ، وابن قتيبة يقول : " أنهم من ولد الصلت بن النضر بن كنانة "[4] .

وسميت خزاعة بهذا الاسم لأنهم انخزعوا[5] من ولد عمرو بن عامر حين اقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمر الظهران[6] فأقاموا بها ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت ثابت ﷺ :

فَلمّا هَبطْنا بَطْنَ مَرٍ تَخَزَّعَتْ ... خُزاعَةَ مِنّا في خُيولٍ كَراكِر[7]

حَموا كُلَ وادٍ من تُهامَة واحْتَمَوا ... بصَمّ القَنا والمُرهَفاتِ البَواتِرِ[8]

وكانت هجرتهم من اليمن بسبب انهيار سد مأرب[9] ، وقيل : أن هجرتهم كانت قبل خراب سد مأرب ، وقد وصلوا الى ضواحي مكة ، فنزلوا بمر الظهران وطلبوا من جرهم

---

(2) كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط2 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1968م) ، ص339 .

(3) السيرة النبوية ، ج1 ، ص84 .

(4) الجمهرة ، ص235 .

(5) المعارف ، ص67 .

(6) الانخزاع : الانقطاع وهو تخلف الرجل عن أصحابه في مسيرهم ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج1 ، ص114.

(7) مر الظهران : بفتح أوله وتشديد ثانيه وبالظاء المعجمة ، موضع بينه وبين البيت ستة عشر ميلاً ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص531 .

(8) كراكر : كراديس من الخيل ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج5 ، ص278 .

(9) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص92 ؛ الفاسي ، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية (بورسعيد – 2001م) ، ص239 .

(1) سد مأرب : (مأرب) : اسم المكان من الأرب وهي الحاجة ، وهي بلاد الازد اليمنية ، قيل : أن مأرب أسم قصر كان لهم ، وقيل : هو اسم لكل ملك يلي سبأ كما أن تبعاً اسم كل من ولي اليمن والشحر وحضرموت ، ومأرب بين حضرموت وصنعاء بينها وبين صنعاء أربعة أيام ، وكان السد من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب ومات قبل أن يتمه ، فأتمه ملوك حمير ، وقيل : أن الذي أتمه لقمان بن عاد ، وجعله فرسخاً في فرسخ ، وجعل له

الإقامة معهم ، إلا أن جرهم رفضت ذلك ، فحدثت بينهم الحرب التي انتهت بانتصار الازد ونزولهم مكة[1] .

وكان أشهر من تولى أمر البيت من خزاعة عمرو بن لحي الخزاعي[2] ، واسم لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر[3] ، وعمرو هذا هو الذي غير دين إبراهيم عليه السلام وبدله بعبادة الأوثان بعد أن أحضر معه من الشام أصناماً ونصبها حول الكعبة[4] ، وجاء بهبل من هيت[5] من أرض الجزيرة فنصبه في بطن الكعبة ، فقال له أحدهم ناصحاً (قيل هو الحارث بن مضاض الجرهمي) :

يا عَمْرُو لا تَظْلِم بِمَكَّةَ ... إنَّها بَلَدٌ حَرام
سائلْ بِعادٍ أينَ هُمُ ... وكَذلِكَ تُخْتَرَمُ الأَنام
وبني العَماليقِ الذينَ ... لهم بِها كانَ السَّوام[6]

وكان قوله في قومه ديناً متبعاً ، وبلغ بمكة وفي العرب مكانة كبيرة ، وهو أول من أطعم الحاج سدايف[7] الإبل ولحمها على الثريد ، وأهدى إليهم الثياب اليمنية[8] .

وظلت خزاعة قائمة على ولاية البيت الى حين ظهور قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي[1] ، ودامت ولاية خزاعة للبيت نحو ثلاث مائة سنة تقريباً[2] ،

ثلاثين مشعباً ، وهو بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج إلا من جهة واحدة ، فكان الأوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء العيون مع ما يفيض من مياه السيول فيصير خلف السد كالبحر ، فكانوا إذا أرادوا سقي مزروعاتهم فتحوا من ذلك السد بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحركات مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه إذا أرادوا ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص34-35 .

(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص92 .

(3) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص154 .

(4) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص93 .

(5) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص154 .

(6) هيت : بكسر أوله ، مدينة مذكورة في حدود العراق على شاطئ الفرات ، وسميت هيت لأنها في هوة أي في منخفض ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1357 .

(7) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص165 .

(1) السدايف : (السديف) شحم السنام ، ينظر : الازدي ، جمهرة اللغة ، ج2 ، ص646 .

(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص164 ؛ الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص154 .

وقيل : أن ولاية البيت زمن عمرو بن لحي وولده من بعده قد استمرت الى ما يقارب الخمس مائة عام حتى كان آخرهم حليل بن حبيشة بن سلول ، وكانوا هم حُجّابه وخُزّانه والقائمين عليه ، فضلاً عن أنهم ولاة الحكم في مكة[3] .

5 . قريش :

تجمع المصادر على أن قريشاً من القبائل العدنانية ، فهم ولد إسماعيل بن إبراهيم **(عليهما السلام)** ، والخلاف فقط في أصل التسمية ، فمن هو قريش؟ ، وعلى من أطلق هذا الاسم؟ ، ومتى سكنت هذه القبيلة مكة؟ ، ومع إننا لا نملك نصوصاً تأريخية تذكر لنا هذا الاسم تعود الى عصر ما قبل الإسلام ، وكذلك لم تذكره كتب اليونان أو الرومان ولا قدماء السريان .

إلا أن ذلك لا ينفي وجود قريش قبل أن يجمعها قصي بن كلاب في بطحاء مكة ، فقد ورد ذكر لها في النصوص الجنوبية القديمة ، فقد ورد في الوثيقة أو النص الحضرمي الذي يعود الى عهد الملك الحضرمي (العز) الذي حكم في القرن الأول قبل الميلاد ، أو في القرن الثالث الميلادي ، ورد فيها نصاً يذكر فيه عشر نساء قرشيات كُنَّ في معية الملك عند زيارته لأحد الحصون ، وكذلك وردت لفظة قريش اسماً لرجل عرف بـ(حبسل قريش) ، أو (حبسل قرشم) في الوثيقة نفسها التي تعود الى زمن الملك الحضرمي (العز)[4] ، وللوقوف على أصل تسمية قريش نورد بعض الروايات التي تتحدث عن ذلك :

أ . سميت قريش بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وقد كان قريش هذا دليل بني النضر في أسفارهم وصاحب ميرتهم ، فإذا قدمت عِير بني

---

(3) سيديو ، تاريخ العرب العام ، ص44 .

(4) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص168 ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، مج1 ، ص209 .

(5) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص166 ؛ الفاسي ، الزهور المقتطفة ، ص240 .

(1) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص23 ؛ مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص409-410 .

النضر قالت العرب : قدمت عِير قريش ، وإذا خرجت قالوا : خرجت عِير قريش ، باسم دليلهم[1] .

ب . إن قريشاً جماع نسب ، فليس بأب ولا بأم ، وإنما نعتت العرب به النضر بن كنانة ، إذ إنه خرج يوماً على نادي قومه فقالوا : أنظروا النضر كأنه جمل قريش[2] أي شديد[3] ، أو لأنه اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا : تقرش[4] ، وقيل : أن قريش هو اسم للنضر بن كنانة ، ثم أطلق على ولده من بعده[5] ، وأنه لقب له ، فكل من كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي[6] ، أو أن قريش هو اسم فهر بن مالك بن النضر ، وإن فهراً لقباً له ، وقيل : عكس ذلك ، وعلى هذا فما فوق فهر الى النضر لا يكون قرشياً وما دونه قرشي[7] ، وتبعاً لتسلسل النسب بين قصي وجده وجده فهر يكون بينهما ستة أجيال ، فندرك أن فهر هو قريش قد عاش في مطلع القرن الثالث الميلادي[8] .

ج . أن قريش مصغر كلمة (قرش) ، وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها[9] ، وقيل وقيل : أن النظر كان في البحر فهاجم سفينته القرش ، إلا أن النضر تمكن من قتله[10] ، وانشد بعضهم :

وقُرَيشٌ هيَ التي تَسْكُن البَحْرَ ... بِها سُميَّتْ قُرَيشُ قريشاً
تأكُلُ الغَثَّ والسَّمينَ ولا تَتْرُك ... مِنْها لذي الجَناحَينِ ريشاً

---

(2) ابن حزم ، الجمهرة ، ص11 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص58 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، (الرياض – 1997م) ، ج2 ، ص202 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص187 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج2 ، ص17 ؛ جواد علي ، المفصل ، ص23 .

(4) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص602 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج17 ، ص324 .

(5) الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط4 ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، (الكويت – 1996م) ، ص92 .

(6) الازدي ، الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، (بيروت –1991م) ، ص27 .

(7) العصامي ، سمط النجوم ، ج1 ، ص73 ؛ الأفغاني ، أسواق العرب ، ص93 .

(8) العصامي ، سمط النجوم ، ج1 ، ص73 .

(9) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص39 .

(1) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص187 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، ص201 .

(2) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص39 .

هكَذا في الوُجودِ حَيٌّ قُريش ... يَأكُلونَ الأنامَ أكْلاً كَريشاً[1]

د . التقريش : لغة ، التفتيش[2] ، وكان النضر يقرش أو يبحث عن حاجة ذوي الفاقة من من قاصدي مكة[3] ، فمن كان محتاجاً أغنوه ، ومن كان عارياً كسوه ، ومن كان معدماً واسوه ، ومن كان طريداً آووه ، ومن كان خائفاً حموه ، ومن كان ضالاً هدوه[4] .

هـ . وسميت قريش بهذا الاسم لاجتنابها أو بعدها عن الغارات ، فهي قد تقرشت عن الحروب[5] .

و . وربما سموا قريشاً لتجمعهم الى الحرم بعد تفرقهم في البلاد ، وذلك حين غلب على مكة قصي بن كلاب الذي سمي مجمعاً لذلك[6] .

ومما تقدم يتضح لنا أن أقرب هذه الأقوال وأشملها وهو أن اسم قريش أطلق على هذه القبيلة العدنانية لعملهم بالتجارة وتكسبهم الأموال (القروش) من هذا العمل ، وأنه أول ما أطلق كان في عهد النضر بن كنانة ، ولذا قال الجاحظ : " وبالتجارة كانوا يعرفون ، ولذلك قالت كاهنة اليمن : لله در الديار لقريش التجار ، وليس قولهم : قرشي لقولهم : هاشمي وزهري وتيمي ، لأنه لم يكن لهم أب يسمى قريشاً فينتسبون إليه ، ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش ، فهو أفخم أسمائهم واشرف أنسابهم ، وهو الاسم الذي نوه الله تعالى به في كتابه وخصهم به في محكم وحيه وتنزيله ، فجعله قرآناً عربياً يتلى في المساجد ، ويكتب في المصاحف ويجهر به في الفرائض وخطوه على الحبيب والخاص "[7] .

---

(3) العصامي ، سمط النجوم ، ج1 ، ص73 .

(4) الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي (ت388هـ/988م) ، غريب الحديث ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ، دار الفكر ، (بيروت – 1982م) ، ج1 ، ص373 .

(5) العصامي ، سمط النجوم ، ج1 ، ص40 ؛ الجميلي ، خضير عباس ، قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام ، المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – 2002م) ، ص42 .

(6) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص93 .

(7) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص187 ؛ جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص23 .

(8) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص91 .

(1) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (ت255هـ/868م) ، رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1964م) ، ج4 ، ص256 .

أما البطون والأفخاذ الذين تتكون منهم هذه القبيلة ، فهم كما يقول صاحب الجمهرة : " وبطون قريش : بنو العباس وأبي طالب وأبي لهب والحارث بني عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وبنو أمية وسائر أخوتهم من بني عبد شمس ، وبنو نوفل بن عبد مناف ، وبنو أسد بن عبد العزى بن كلاب ، وبنو زهرة بن عبد الدار بن قصي ، وزهرة بن كلاب بن مرة ، وبنو تيم بن مرة بن غالب ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو عدي بن كعب بن لؤي ، وبنو جمح بن هصيص بن كعب ، وبنو سهم بن هصيص بن كعب ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو تيم الادرم بن غالب ، وبنو الحارث بن فهر ، وبنو محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، هذه بطون قريش الصرحاء الذين لا شك فيهم "[1] .

أما الوقت الذي سكنت فيه هذه القبيلة مكة ، فهم أول من سكنها وذلك لأنهم بنو إسماعيل عليه السلام وذريته ، وهذا أمر ثابت متفق عليه بين أهل الأنساب وغيرهم ، وعلى الرغم من أنهم تركوا سيادة مكة وأمر البيت لغيرهم من جرهم وخزاعة ومن سبقهم ، إلا أنهم بقوا في مكة أو بقربها حتى مجيء قصي بن كلاب الذي أعاد الأمور الى نصابها ، وارجع قريش بعد أن جمعها وجعلهم سادة الحرم كله وليس مكة وحدها ، وهو ما سنتناوله في الفصل القادم .

وقد عرفت قريش قبل الإسلام بعدد من المزايا والخصائص والفضائل لموقعها ومكانتها بين العرب ، فقد ذكر : أن قريشاً كان يطلق عليها : آل الله[2] ، وجيران الله ، وسكان الله[3] ، وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نَحْنُ آلُ اللهِ في ذِمَّتهِ ... لَمْ نَزل فيها على عَهْدٍ قَدُم
إنَّ للبَيْتِ رَبّاً مانِعَاً ... مَنْ يَرِدْ فيهِ بإثمٍ يَخْتَرِم[4][1]

---

(2) ابن حزم ، ص464-465 .

(1) أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت295هـ/907م) ، الأوائل ، تحقيق : محمد السيد والوكيل ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، (طنطا – 1987م) ، ص32.

(2) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ/939م) ، العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد الترحيبي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1983م) ، ج3 ، ص313 .

(3) يخترم : (أخترم) استأصل واقتطع ومات ، واخترمته المنية من بين أصحابه ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج32 ، ص69 .

وروي عن قريش أيضاً : أنها كانت تسمى (العالمية) ، إذ قال أبو هلال : " وكانت قريش تسمى في الجاهلية العالمية لفضلهم وعلمهم ، قال ابن عباس بن عتبة بن أبي لهب : أَلسْنا أهْلَ مَكَّةَ عالَميَّاً ... وأدْرَكْنا السَّلامَ بِها رِطاباً "[2]

ومما عرفت به أيضاً لفظة السخينة[3] ، فقد لقبت بها قريش في الجاهلية وظل هذا الاسم يلازمها حتى في العصور الإسلامية قال كعب بن مالك[4] :

جاءَتْ سَخْينَةَ كَيْ تُغالِبَ رَبّها ... فَلَيَغْلِبَنَ مُغالَب الغَلاب[8]

وغير ذلك مما تميزت به قريش عن سائر العرب من الفضائل ومكارم الأخلاق والتي سنتحدث عنها في الفصول اللاحقة .

6 . عناصر سكانية أخرى :

ساكن أهل مكة سواءً في بطحاء الوادي أو ظواهره بقية من قبائل أخرى تخلفت في مكة ممن كان فيها قبل قريش مثل بني فقيم وهم عشيرة من قبيلة كنانة وهم نسأة[5] الشهور[6] ، كذلك عشائر من قبيلة خزاعة القبيلة الازدية التي عاشت في مكة وحكمتها قبل قريش لمدة (300) سنة وقيل : (500) سنة[7] ، كما مر بنا سابقاً ، ولما انتقلت

---

(4) حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص95 .

(5) ابو هلال العسكري ، الأوائل ، ص65 .

(6) السخينة : طعام يعمل من دقيق وسمن أغلظ من الحساء ، وأرق من العصيدة ، وإنما تؤكل في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال ، ينظر : ابن قتيبة ، غريب الحديث ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، (بغداد – 1976م) ، ج2 ، ص415 .

(7) كعب بن مالك : أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن كعب بن مالك بن أبي كعب واسمه عمرو بن القين الخزرجي الأنصاري ، صحابي جليل ، شهد العقبة ، واختلف في شهوده بدراً ، وكان أحد شعراء الرسول ﷺ الذين كانوا يردون عنه الأذى ، شهد أُحد والمشاهد كلها حاشا تبوك فأنه تخلف عنها وهو احد الثلاثة الذين نزل فيهم قوله تعالى : (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ...)(التوبة: من الآية118) ، توفى كعب بن مالك في زمن معاوية سنة خمسين وقيل : ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة ، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – 1992م) ، ج3 ، ص1323–1325 .

(8) حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص95 .

(1) النسيء : معناه التأخير ، وكانت العرب تؤخر تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم ، ينظر : ابن سلاّم ، غريب الحديث ، ج2 ، ص158 .

(2) اليعقوبي ، تاريخ ، ج1 ، ص324 .

(3) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص244 .

السلطة الى قريش بقيت خزاعة في مكة ، ولها بطون متعددة معروفة حتى في الإسلام[1] ، وسكن بعض خزاعة في مر الظهران وكانوا أحلافاً لقريش[2] ، ومنهم أم معبد عاتكة بنت خالد من بني كعب من خزاعة التي مر بها النبي ﷺ في خيمتها التي كانت بقديد[3][4] .

وسكن الاحابيش خارج وادي مكة وهم بطن من بني عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة ويطلق عليهم اسم بني غوي ، وقد غيره النبي ﷺ واسماهم بني رشد بعد أن أسلموا ، وكان الشماخ وتيم ولدي عامر بن الحارث سيدا الاحابيش[5] .

وكان الحليس بن يزيد من بني عبد مناة سيد الاحابيش وزعيمهم يوم الفجار الرابع[6] الرابع[6] ، وخرج الاحابيش مع قريش يوم ذات نكيف[7] وقائدهم حطمط بن سعد من بني بني الحارث بن عبد مناة ، وكذلك كان أبو حارثة والحبش بن عمرو رئيس بني الحارث بن عبد مناة[8] .

ورغم إنكار بعض المستشرقين ومنهم لامانس لعروبة الاحابيش كما يذكر ذلك احد الباحثين[9] ، فأنه قد ثبتت عروبتهم وأنهم من بني كنانة[10] ، وأطلق عليهم هذا الاسم لتجمعهم عند جبل حبشي ، وعرفوا بأحابيش قريش[11] ، ولأنهم تميزوا بغلبة السواد على

---

(4) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص266 .

(5) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص245 .

(6) قديد : موضع بين مكة والمدينة وبينها وبين الجحفة (ميقات أهل الشام) سبعة وعشرون ميلاً ، وبين قديد والبحر خمسة أميال ، وقديد كثيرة الماء والبساتين ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص455 .

(7) السهيلي ، الروض الأنف ، ج2 ، ص234 .

(8) ابن حزم ، الجمهرة ، ص188 .

(9) ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص361 .

(10) ذات نكيف : (نكيف) ، بالفتح ثم الكسر ، موضع من ناحية يلملم من نواحي مكة ، ويوم نكيف أو ذي نكيف : وقعة كانت بين قريش وكنانة في هذا الموضع فهزمت قريش بني كنانة وكان صاحب أمر قريش عبد المطلب ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص303 .

(1) ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت245هـ/859م) ، المنمَّق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد احمد فاروق ، عالم الكتب ، (بيروت – 1985م) ، ص127.

(2) الشريف ، مكة والمدينة ، ص160 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج1 ، ص113 .

(4) الجوهري ، الصحاح ، ج3 ، ص100 .

ألوانهم عدوا في عداد الحبش ، ولكن نتج اسوداد بشرتهم من إقامتهم على الساحل في تهامة وخالطوا أهل الحبشة بالتجارة معهم والتزاوج منهم[1] .

وكان للاحابيش من بني كنانة سيادة ومكانة مكافئة للقبائل الكبرى بدليل تحالفهم مع قريش محالفة الند لصنوه في حلف الاحابيش ، وكان لقريش على الاحابيش حقوق منها النصرة والحماية ، ولذلك أمرتهم قريش البقاء جنوب مكة للدفاع عنها من هذه الناحية ، وذلك عام الفتح سنة (8هـ)[2] .

ومن سادة الاحابيش الذين شاركوا في إدارة شؤونهم الحليس بن علقمة من بني الحارث بن عبد مناة ، وقد رأسهم يوم موقعة أُحد في السنة الثالثة للهجرة[3] ، وقد أوفدته أوفدته قريش ليتفاهم مع النبي ﷺ يوم الحديبية سنة (6هـ) ، فلما شاهد المسلمون وهم محرمون ومعهم الأضاحي قال : " يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ، والذي نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد ... فقالوا له : مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به "[4] ، وهذا دليل على مكانته في مكة مكة وليس بين الاحابيش فقط[5] ، ومنهم أيضاً ابن الدغنة ، وهو ربيع بن رفيع السلمي الذي أجار أبا بكر رضي الله عنه وحاول رده عن هجرته[6] .

وقبائل أخرى كانت تسكن في الضواحي القريبة من مكة مثل بني هلال بن عامر وبطون من قضاعة وقيس وخندف وأشجع وعبس وفزارة .

طبقات المجتمع القُرَشِيّ :

كان المجتمع القرشي شأنه شأن بقية المجتمعات العربية في عصر قبل الإسلام ، والتي تكون فيها القبيلة وحدة المجتمع البدوي الرئيسية ، فهو يتكون من ثلاث طبقات ،

---

(5) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص30 .

(6) المرجع نفسه ، ج4 ، ص35 .

(7) ابن حزم ، الجمهرة ، ص188 .

(8) الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الاسلمي المدني (ت207هـ/822م) ، مغازي الواقدي ، تحقيق : مارسدن جونس ، ط3 ، دار الاعلمي ، (بيروت – 1989م) ، ق2 ، ص599 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص71 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص33 .

تأثر تكوينها بالحالة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية والأصل الذي ينتمي إليه أصحاب كل طبقة ، وأهم هذه الطبقات :

1 . طبقة الأحرار أو الصرحاء :

وهم أبناء القبيلة الذين في عروقهم دمها النقي ، كما أنهم ينحدرون من الجد الذي تنتسب إليه ، فهم عماد القبيلة ، وعليهم يعول في الحرب ، وهم الذين يسودون القبيلة ويؤلفون بيوتات الشرف فيها[1] ، فكانوا يتمتعون بالحرية والاستقرار والآمن في ظل حماية القبيلة ، فإذا ما أرتكب أحدهم إثماً أو جر على قبيلته وبالاً ، كان أفراد القبيلة يتضامنون لنصرته ظالماً أو مظلوماً[2] ، وقد قالوا في ذلك : (ينسب الى قريط بن أنيف):

لا يَسْأَلونَ أخاهُم حينَ يَنْدِبهم ... في النّائِباتِ على ما قالَ بُرْهانا[3]

فيمتلئ قلبه بالفخار والثقة الزائدة بالنفس التي جعلته لا يتردد في استعمال حق الأحرار في واحد من أهم مظاهر الشرف والرفعة في هذا المجتمع وهو الإجارة[4] ، فكان فكان يدخل الجار في حمايته ويلزم قبيلته بذلك والدفاع عنه ، بل والقصاص ممن قد يتعرض له بالأذى ، وكان المجير يعلن الإجارة على الملأ في صراحة تامة بقوله : " قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع منه نفسي وأهلي وولدي "[5] .

وكان أبناء هذه الطبقة هم أصحاب الأموال الذين تتركز في أيديهم الثروات الطائلة ، فمنهم السادة التجار وأصحاب الإقطاعيات الكبيرة في المدن والمناطق القابلة للزراعة

---

(3) توفيق برو ، تاريخ العرب القديم ، ط2 ، دار الفكر ، (دمشق – 1996م) ، ص257 ؛ سقال ، ديزيرة ، العرب في العصر الجاهلي ، دار الصداقة العربية ، (بيروت – 1995م) ، ص85 .

(4) محمود ، العرب قبل الإسلام ، ص271 .

(5) ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك العنسي المدلجي (ت685هـ/1286م) ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق : نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، (عمان – د.ت) ، ص461 .

(1) محمود ، العرب قبل الإسلام ، ص271 .

(2) الأصفهاني ، أبو فرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي (ت356هـ/966م) ، الأغاني ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة – 1959م) ، ج2 ، ص118 .

كالطائف مثلاً ، وكانوا يملكون ألوفاً من الإبل ، فضلاً عن مساحات كبيرة من مناطق الرعي ، وقد كان لهذا أثره في نفوس هذه الطبقة ، وظهرت آثاره في الديات ، فبينما كانت دية الحر الشريف تصل الى الخمسمائة والألف من الإبل[1] ، كانت دية غيره من أبناء الطبقات الأخرى لا تكاد تصل الى نصف دية الرجل الحر العريق[2] .

2 . الموالي :

للموالى ثمان معانٍ في اللغة العربية[3] ، والتي يهمنا منها معنيان ، الأول : " إن المولى يطلق على الحليف ، وهو من أنضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك ، والثاني : أن المولى يطلق على المعتق ، ولهذا قيل للمعتقين : الموالي "[4] .

والحلف أو الموالاة يقوم على عدة أوجه : فيعقد الحلف بين شخصين أو بين بطن وآخر ، أو يكون بين قبيلة وأخرى ، ويحالف الرجل مجموعة أفراد من عشيرة واحدة كحلف عبد المطلب مع آل عتبة بن فرقد السلمي ، ولكن حقوق وبنود الحلف المتعارف عليها نافذة على الجميع مهما أختلف نوع الحلف ، فحقوق حليف الرجل محفوظة ومؤادة له من جميع أفراد القبيلة أو سكان مكة ، فعندما يحالف الرجل حرب بن أمية أو عبد المطلب بن هاشم فالجميع ملزم باحترام هذا الحليف ، وقد دخل في عداد الموالي والحلفاء الرقيق المعتق سواء كان هذا العتق بالمكاتبة أو تحريراً برغبة السيد[5] .

وبعد أن استتب أمر قريش في مكة وصار للبلدة وأهلها مركزاً مرموقاً بين سائر بلاد العرب مما ميزها وأعطاها الهيبة والاحترام ، فضلاً عن زعامتها الدينية ، فقد اكتسبت السمعة الحسنة والمركز الاقتصادي الممتاز والتجارة الرابحة ، فعم الاستقرار والأمن مكة

---

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج6 ، ص16 .

(4) محمود ، العرب قبل الإسلام ، ص272 .

(5) الموالى : المعتِق والمعتَق ، والولي : (... اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ...)(محمد: من الآية11) ، والمولى : الأولى : (... مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ ...)(الحديد: من الآية15) ، أي : اولى بكم ، والحليف والجار (من الجوار) ، ويكون المولى : الصِّهر ، ينظر : الانباري ، الزاهر ، ج1 ، ص124-126 .

(6) الهروي ، تهذيب اللغة ، ج8 ، ص324 .

(1) الشريف ، مكة والمدينة ، ص226 .

التي غدت محط أنظار العرب وملاذهم ، مما شجع بعض الأعراب والأعاجم على اللجوء الى مكة وحرمها الذي تتولى قريش حمايته وحماية من يلجأ إليه[1] .

فلجأ إليها بعضهم لجوءاً سياسياً ، وقدم آخرون للتجسس لحساب الروم والتقاط أخبار الفرس وعلاقتهم بمكة ، وقدم غيرهم طلباً للرزق والعمل ، وطلب بعض القادمين الإقامة في ظل الحماية القُرَشية ، ولم تبخل قريش على الموالي بمطالبهم لمصالح مشتركة قامت بين الطرفين ، مما فتح باب الإقامة للعديد من الناس الذين قدموا مكة وعاشوا فيها على مبدأ الجوار أو الحلف مع أحد سكانها فيكون موالياً وحليفاً[2] .

ومن أوائل هؤلاء الموالي الذين عقدوا الأحلاف حارثة بن الاوقص السلمي[3] ، وكان من المهتمين بأمر الدين ، فلما سمع عن بيت مكة ترك التعبد في بيت ضمار[4] وعقد النية على الذهاب الى مكة فبيتها أولى بتعبده وطوافه ، ولما قدمها حالف أمية بن عبد شمس وعاش حارثة في مكة ، ثم أنجب أبناً سماه حكيم[5] ، وقدم جحش بن رئاب بن يعمر الاسدي الى مكة وحالف أمية بن عبد شمس أيضاً ، فلما سمع عن عبد المطلب وعظمته ندم على أنه لم يحالفه ، فعزم على مصاهرته وتزوج أميمة بنت عبد المطلب[6] المطلب[6] .

وقد رحبت قريش بكل من أتاها وأتاحت لهم سبل العيش ، بل أتاحت لبعضهم أن يصبح في عداد الأغنياء تحت ظل الحياة الآمنة المستقرة التي هيأتها في رحاب مكة ،

---

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص363 .

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص72 .

(4) هو حارثة بن الاوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ثعلبة بن ذكوان بن امرئ القيس السلمي ، حليف بني أمية ، ينظر : ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر (ت852هـ/1448م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1994م) ، ج8 ، ص116 .

(5) ضمار : بفتح أوله وبالراء المهملة في آخره ، حجر لبني سليم يعبدونه في الجاهلية ، وكان في ديار سليم في الحجاز ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص881 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص73 .

(2) ابن حبيب ، المحبر ، تحقيق : ايلزة لبتن شنيتر ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت – 1942م) ، ص63 .

ومنهم بديل بن ورقاء الخزاعي الذي كان ملاذً لجميع الخزاعيين وداره مأواهم وملجأهم ، وقد بلغ من شأنه انه كان أحد الثلاثة الذين خرجوا للقاء النبي ﷺ يوم فتح مكة سنة (8هـ) ، فاخذوا لأهلها الأمان[1] .

وكان الاخنس بن شريق الثقفي[2] حليفاً لبني زهرة وحاز مركزاً مرموقاً ، وصارت له الكلمة والنفوذ ، وقد اقنع حلفاءه بني زهرة بالرجوع وعدم الاشتراك في معركة بدر ، وان من شروط الحلف والموالاة الالتحام والتضامن في الشدائد ، فصار هؤلاء الموالي مع قريش في الحرب والسلم ، واعتمدت عليهم قريش ، وأفادت منهم كثيراً ، ففي معركة بدر مثلاً أشترك هؤلاء الموالي بفاعلية تامة حتى أنهم احتملوا (40%) من خسائر المعركة[3].

وقد استغلت قريش خبرة الموالي العملية ومواهبهم وطاقاتهم وأحسنت معاملتهم فأحلت كل منهم المنزلة اللائقة به ، وكان موالي قريش في وضع أفضل من أحلاف وموالي القبائل الأخرى القريبة من مكة ، وذلك نابع من سياسة قريش التي عمدت الى تنشيط الحركة التجارية وإشراك القبائل العربية معها والمحافظة على حسن الصلات والسمعة الحسنة ، وكل هذا لتدعيم وإبراز حرمة مكة وإثباتاً بان الحرم ملاذ العرب اجمع على الدوام[4] .

وإذا ما علمنا أن غالبية الرقيق من الغرباء عن مكة والجزيرة أي أنهم غير عرب ، أو أنهم عرب من أسرى الحرب والغزو ، إذ يكون مصير الأسير التملك فيباع ويشترى ،

---

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص74 .

(4) هو أبو ثعلبة أُبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب ، وكان اسمه أُبياً ، فلما أشار على بني زهرة بن كلاب بالرجوع الى مكة حين توجهوا بالنفير الى بدر ليمنعوا العِير ، قبلوا منه ورجعوا ، فقيل : خنس بهم ، فسمي الاخنس يومئذ ، أسلم يوم فتح مكة وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً وأعطاه الرسول ﷺ مع المؤلفة قلوبهم ، توفي في أول خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج1 ، ص192 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص226-227 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص74-75 .

وإذا كان شريفاً في قومه يتخذ مولاً وحليفاً ، وقد ينعمون عليه ويطلقون سراحه بعد ان يجزوا ناصيته[1] ، فتكون الناصية فخراً له عند إطلاق سراحه من الأسر[2] .

3 . الرقيق :

عاش مع أهل مكة مجموعة أخرى من غير العرب ، وإنما كانوا دخلاء على مكة من خارج شبه الجزيرة العربية وكونوا طبقة من طبقات المجتمع القريشي لها حقوق وعليها واجبات رغم أنها أقل العناصر السكانية مكانة وهم الرقيق .

إذ كثر الرقيق في بيوت أغنياء مكة ، فأمتلك السيد القرشي العديد من ذلك الرقيق ذكوراً وإناثاً وبلونيه الأسود والأبيض[3] ، وأمتلك أهل مكة عبيدهم وإماءهم عن طريق الشراء غالباً وقلة منهم عن طريق الأسر والسبي نظراً لقلة حروب قريش وقلة اشتراكهم في الغزو والغارات ، وشراء رقيقهم يتم من أسواق تجارة الرقيق ، فلشدة حاجة المجتمع الى هذه البضاعة الحية خصصوا لها أسواقاً وشدوا الرحال إليها لجلب الرقيق ، ومن مصادره الأصلية في شواطئ افريقية التي هي مصدر الرقيق الأسود[4] ، وفي الشمال كبلاد الشام والعراق وأسواق أوربا جلبوا الرقيق الأبيض اللون ويكون أغلى ثمناً من الرقيق الأسود[5] ، وذلك أن العرب كانوا يتعشقون البياض ويحتقرون السواد ، إضافة لما يقدمه هؤلاء من أعمال تدر على أسيادهم الربح الوفير[6] ، وكذلك جلبوا الرقيق من الهند وفارس ومصر وبلاد الروم ، وكان بعض الرقيق من أصل عربي ، إذ تأسر القبيلة بعض أفراد قبيلة أخرى في غارة من غاراتهم ثم تسترقهم بالعنف والقوة وتبيعهم في أسواق الجزيرة الى المشترين من تجار القبائل ، وعرفت تجارة العبيد باسم النخاسة ، وقد كان عبد الله بن جدعان تاجراً للرقيق أو (نخاساً) ، بل أكبر تجار قريش ، والدليل على أهمية

---

(2) الناصية : جمعها النواصي ، والناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، ص327 .

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص75 .

(4) المرجع نفسه ، ص64 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص37 ؛ الجميلي ، قبيلة قريش ، ص37 .

(6) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص119 .

(1) توفيق برو ، تاريخ العرب القديم ، ص258 .

النخاسة في مكة ورواجها بين قريش سوق الرقيق الذي نظم خصيصاً لهذا النوع من التجارة عند جبل أبي قبيس وعلى مقربة من الحرم وتداولوها أيضاً في سوق عكاظ[1] ، وفي الجزيرة العربية وأطرافها أسواق للنخاسة غيرها مثل سوق دومة الجندل[2][3] .

وأسوأ أوضاع هذه الفئة أنها مملوكة للسادة ولا تملك شيئاً ، فلا تملك المال على الإطلاق ، ولا تملك حتى أمر نفسها ، وقد فرضت على العبيد قيود إذ ليس لأي منهم أن يتزوج إلا بأذن سيده وعلى أن يتزوج أمة من جنسه ، وليس لهم حق الملكية والمقاضاة كما يحق لأسيادهم أن يعتقوهم أو يبيعوهم أو يهبوهم أو يعاقبوهم ، ولم تكن قريش تغلو في استعمال هذه الحقوق ، وأن العبيد في مكة يختلفون عن رقيق الارض في البلاد الأخرى ، فقد كانوا يسكنون مع أسيادهم ويعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية على خلاف ما كان في أوربا مثلاً[4] .

ويمكن للعبيد في مكة أن يستردوا حريتهم إذا ما قدموا أعمالاً عظيمة وشجاعة نادرة تعود على أسيادهم بفائدة كبيرة ، أو أن يتفق مع سيده على شراء حريته بالمال ، وهذا ما يطلق عليه بالمكاتبة ، والرقيق الذي يتحرر بهذه الطريقة يدعونه المكاتب[5] ، أو أن يوصي السيد بعتق العبد بعد وفاته تقرباً للآلهة ويسمى هذا بالمدبر[6] .

ويعمل هؤلاء الرقيق بقوت يومهم أي بمأكلهم وملبسهم ومسكنهم مقابل الأعمال العديدة الملقاة على عواتقهم ، وقد وزع أهل مكة عبيدهم على مختلف الأعمال مع إيجاد نوع من التخصص ، وجعلوا ذلك على عدة أوجه :

---

(2) عكاظ : بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة ، صحراء مستوية لا عَلَم بها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وكانت سوقاً لمكة في الجاهلية ، وهي بأعلى نجد قريب من عرفات ، وقيل : عكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف وعلى بريد منها ، وأرضها لبني نصر واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وقيل : غير ذلك ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص959 .

(3) دومة الجندل : بضم الدال ، ما بين برك الغماد ومكة ، وقيل : هي ما بين الحجاز والشام والمعنى واحد ، وهي على عشر مراحل من المدينة وعشرين من الكوفة وثمان من دمشق واثنتي عشرة من مصر ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص245 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص64 – 65 .

(5) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص38 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص65 .

(1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص202 .

(2) الشريف ، مكة والمدينة ، ص39 .

أ . الرقيق الأبيض :

الذين كان وصولهم الى مكة من خارج الجزيرة من الشام أو من العراق أو من مصر ، ويتميزون عن غيرهم بأنهم كانوا على جانب من دقة العمل وحسن الأداء ووفرة الإنتاج ، وأبرز الأعمال التي أنيطت بهؤلاء هي القيام بعمليات إدارية وفي البيوتات ، والاشتغال بالمهن مثل البناء والنجارة والحدادة وبعض الحرف الدقيقة التي لابد للعامل فيها أن يمتلك المهارات الأساسية والخبرة والتمرس مع قدرة التفنن ، وهذه أمور لا يجيدها إلا من كان من أهل المدن والتحضر[1] .

ب . الرقيق الأسود :

ذو الأصول الأفريقية ، سود البشرة ، اشتراهم أثرياء مكة للقيام بأعمال شتى خدمة لهم ، وأهم أعمال هذا الصنف من الرقيق هي رعي المواشي ، وسياسة الخيل ، والخدمة في البيوت وفي الأسفار ، ثم استغلال مجهودهم العضلي للعمل في مزارعهم وأراضيهم خارج مكة ، وكان هذا النوع من الرقيق ضرورة مهمة في حركة اقتصاد مكة ، إذ أنه يعوض عن الآلة في الخدمات والأعمال[2] ، وكان عددهم على ما يبدو كبيراً ، إذ أن هند بنت عبد المطلب أعتقت في يوم واحد أربعين عبداً من عبيدها[3] ، وذكر أن حكيم بن حزام[4] : أنه أعتق مائة رقبة في الجاهلية ومثلها في الإسلام[5] ، وإذا ما قامت الحرب فأن سادة مكة يدفع كل منهم بعبيده مع الفرسان للدفاع عن القبيلة ، وكذلك

---

(3) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص38 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص65 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص37 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص65 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص192 .

(1) هو أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، من مُسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم ، أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة بعير ، ثم حسن إسلامه ، ولد في الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام ، توفى بالمدينة سنة أربع وخمسين ، وقيل : ثمان وخمسين ، ينظر : أبو نعيم الأصبهاني ، احمد بن عبد الله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت430هـ/1038م) ، معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر ، (الرياض – 1998م) ، ج2 ، ص701 .

(2) محمود ، العرب قبل الاسلام ، ص274 .

لخدمتهم في الطريق والدفاع عن السيد إذا نشبت المعركة ، وقد اشتهر العديد من العبيد وأبناء الإماء بالفروسية[1] .

ج . الإماء :

وقد خصص للإماء العمل في خدمة البيوت كإعداد الطعام ونحوه ، وكذلك في خارجها لجمع الحطب وحلب النوق والاعتناء بسيدات قريش من تلبيس وتزيين وغيرها من الأمور التي تحتاجها سيدة البيت ، وقد أتخذ سادة مكة بعض الإماء زوجات أو خليلات ، والقسم الأكبر من الإماء للتجارة بيعاً وشراءً[2] ، لاسيما الإماء اللواتي يتمتعن ببعض المزايا التي تزيد من ثمنها كاحتراف الرقص والغناء ، لأن الأمة التي تجيد الغناء أغلى ثمناً من مثيلاتها اللواتي لا يجدنه ، فكان الاتجار بها يعد صفقة رابحة[3] .

ومما تقدم يتضح لنا أن للسيد سلطة كاملة ونفوذاً تاماً على عبيده وإمائه ، وتتضح سلطته أكثر في تعذيب أولئك العبيد والإماء أيضاً أبان ظهور الدعوة الإسلامية في مكة ، لأن الرقيق المضطهد سارع الى اعتناق الإسلام لاسيما وأن الإسلام أعطاه حقوقاً كثيرة افتقدوها في حياتهم وضمن لهم المساواة والعدالة الإنسانية والاجتماعية الرائعة ، فما كان من سادة مكة إلا أن هبوا لمقاومة هذه الدعوة التي من شأنها إنصاف الرقيق ، فازدادوا في اضطهادهم تعذيباً بشتى ألوانه وأنواعه ، فلجأوا الى جلدهم بالسياط وكيهم بالصخور الملتهبة من حرارة الشمس كما فعل أمية بن خلف ببلال بن رباح رضي الله عنه[4] .

ولما كان أبناء هذه الطبقة معدمين لا يملكون شيئاً ولا يجدون حتى قوت يومهم لذلك ارتبطت حياتهم ومقدراتهم بسادتهم تبعية مطلقة تجلت في الاعتقاد الديني والإيمان الروحي ، وقد صور القرآن الكريم ذلك : ﴿ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﴾[5] ، وكان من أهم الآثار التي ترتبت على التفاوت الكبير بين السادة والفقراء إن اشتدت الكراهية بين أبناء الطبقتين ، مما اضطر بعضهم الى الهرب من هذا الجحيم الى الصحراء ، فيتربصون بالقوافل على الطرق التجارية ويقومون بالفتك والقتل والسلب

---

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص119 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص66 .

(5) محمود ، العرب قبل الاسلام ، ص276 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص68 .

(2) سورة الأحزاب الآية : 67 .

والنهب ، ولا شك إن الأثرياء كانوا يمثلون العامل الأساسي لهذه الظاهرة في مجتمع ما قبل الإسلام ، وهم الذين كانوا يتحملون تبعاتها[1] .

ثم أن هذا الرقيق الذي أتى من بلاد مختلفة وجنسيات مختلفة أيضاً فانه يدين بديانات مختلفة كالنصرانية واليهودية والمجوسية ، وقد انبث في المجتمع المكي بعاداته وعقائده ، ولكن لسوء أوضاع الرقيق عامة كان تأثيرهم الديني ضعيفاً على المجتمع رغم كثرت أعدادهم وعظم خدماتهم للمجتمع عامة في شتى المجالات[2] ، ورغم ذلك فان هذه الطبقة لا يمكن ان تتخلى عن عاداتها وتقاليدها الموروثة من مواطنها الأصلية ، فقد نقلت الشيء اليسير منها الى المجتمع المكي ، فظهرت فيه بعض الألفاظ والمصطلحات بتأثير لغات العبيد المختلفة ، وأصبحت شائعة في لغة قريش[3] .

وقد كان للتنوع السكاني في مكة اثره في تسهيل عملية بناء حكومة ذات سيادة في هذه المدينة الواقعة في وسط الصحراء من خلال ما فرضه هذا التنوع من منافسة بين سكان مكة رغم ان غالبيتهم من قريش والتي سعت بدورها الى عقد الاحلاف مع بقية سكان المدينة تسهيلا لعملية التجارة وبالتالي تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها بما يساهم في بناء حكومة قوية ذات موقع اقتصادي مهم .

ضواحي مكة وقراها :

تتبع مكة عدد من القرى والضواحي القريبة منها وتشكل معها أهمية اقتصادية وسياسية ، فهي تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم وكأنها مداخل للمدينة ، فكل من قصد مكة من الشام والعراق وجنوب شبه الجزيرة العربية أو حتى من مدن الحجاز ، فلا بد له من المرور بإحدى هذه القرى وأهمها :

1 . منى :

تلفظ بالكسر والتنوين ، في وسط الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم ، سمى بذلك لما يمنى فيه من الدماء ، أي : يراق ، أو لأن آدم عليه السلام تمنى فيها

---

(3) محمود ، العرب قبل الاسلام ، ص276 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص69 .

(5) جواد علي ، المفصل ، ج8 ، ص694-709 .

الجنة ، وهي بلدة على فرسخ من مكة ، طولها ميلان[1] ، تعمر أيام الموسم وتخلو أيام السنة إلا ممن يحفظها ، ومنى شِعبان بينهما أزقة ، وهي بين جبلين مطلين عليها وموقعها على طريق عرفة من مكة ، بينها وبين مكة ثلاثة أميال[2] ، وحدها من جمرة العقبة الى وادي محسر[3][4] .

وقال في وصفها ابن جبير : " فألفيناها تملأ النفوس بهجة وانشراحاً ، مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط عتيقة الوضع ، قد درست إلا منازل يسيرة متخذة للنزول ، تحف بجانبي طريق كأنه ميدان انبساطاً وانقساماً "[5] .

2 . وادي نخلة :

ويقال فيه أيضاً نخلة بإسقاط لفظ وادي ، موضع على ليلة من مكة[6] ، وذكر أنه من بلاد هذيل في طريق مكة على ليلتين منها[7] ، وبه كانت العزى التي هي أحد طواغيت قريش ، والتي بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ليهدمها ، ووادي نخلة قرى مجتمعة كثيرة الماء والنخل والمزدرع ، وغالب فواكه مكة وبقولها منها[8] .

---

(1) الميل : جمعه أميال ، وهو مقدار مدر البصر ، ويساوي ألف باع ، والباع قدر مد اليدين ، ويساوي 4000 ذراعاً أي : (1848) متراً ، ينظر : قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص470 .

(2) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص16 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص198 .

(3) وادي مُحَسِّر : بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين وكسرها ، هو وادي مزدلفة ، وقيل : أنه من منى ، وهو الحد بين منى والمزدلفة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص449 .

(4) ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م) ، مثير العزم الساكن الى أشرف الأماكن ، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم ، دار الراية ، (دمشق – 1995م) ، ج1 ، ص241 .

(5) رحلة ابن جبير ، ص135 .

(1) البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1304 .

(2) الحازمي ، الأماكن ، ص887 .

(3) الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني الطالبي (ت560هـ/1164م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، (بيروت – 1988م) ، ج1 ، ص163 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص258.

3 . بطن مر :

وهو وادٍ من أودية الحجاز في الشمال عن مكة على مرحلة منها ، وهي بقعة بها عدة عيون ومياه تجري ونخيل كثير ، والنخل والزرع متصل من وادي نخلة اليها ومنها تحمل الى مكة[1] .

4 . تبالة :

مخلاف[2] من " مخاليف مكة وبينهما أربع مراحل ، وهي مدينة صغيرة بها عيون متدفقة ومزارع ونخل ، وهي في أسفل أكمة تراب ، لما وليها الحجاج بن يوسف الثقفي من قبل عبد الملك بن مروان فلما وصل إليها لم يرها ، فسأل عنها فقيل له : إنها في أسفل هذه الأكمة التي بين يديك فقال : إن بلدة تسترها أكمة لخليق أن يقال فيها أهون بها ، ثم انصرف عنها ، فصار ذلك مثلاً فيقال : أهون من تبالة على الحجاج "[3] .

5 . نجران :

بفتح أوله وإسكان ثانيه ، ونجران مدينة بالحجاز من شق اليمن ، سميت بنجران بن زيدان بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهو أول من نزلها[4] .

6 . تربة :

بالضم ثم الفتح ، وادٍ بالقرب من مكة على مسافة يومين منها ، يسكنه بنو هلال فيه النخل والزرع والفواكه ، وطول هذا الوادي ثلاث ليالٍ[5] .

---

(4) ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن احمد بن عبد الله (ت300هـ/912م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1889م) ، ص187 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص259 .

(5) المخلاف ، الكورة يقدم عليها الإنسان ، وجمعها مخاليف ، وهي الأطراف والنواحي ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج23 ، ص255 .

(6) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص151 .

(1) البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص298 ؛ الحازمي ، الأماكن ، ص879 .

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص21 .

7 . الهدة :

منزل بين مكة والطائف على مرحلة ونصف من مكة ، وسبب تسميتها بهذا الاسم لأن المطر يصيبهم بعد هدأة من الليل[1] .

8 . عُسفان :

قرية جامعة بين الجحفة[2] ومكة ، وهي من مكة على مرحلتين على طريق حجيج مصر[3] ، وقيل : هي بلد بين مكة والمدينة بينها وبين مكة تسعة وأربعون ميلاً ، وبينها وبين البحر عشرة أميال ، وهي كثيرة الأهل خصيبة ماؤها من الآبار[4] .

9 . البَرزَة :

" وهي وادٍ بالقرب من عسفان على مرحلتين من مكة بها مجموعة قرى على ماء "[5] .

10 . خليص :

قرية بين مكة والمدينة المنورة قريبة من مكة[6] ، في بسيط من الأرض وبها عين فوارة ، ولها جبل وفيها نخل كثير وشجر وبها مسجد[7] .

11 . مَرُّ الظّهران :

موضع بينه وبين مكة نحو ستة عشر ميلاً ، وهو الذي نزل فيه رسول الله ﷺ عند صلحه مع قريش[8] .

---

(3) البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص298 ؛ الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص327 .

(4) الجحفة : بالضم ثم السكون والفاء ، قرية على طريق المدينة ، وهي من مكة على أربعة مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا بالمدينة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص111 .

(5) البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص454 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص259 .

(6) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص141 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص421 .

(7) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص260 .

(1) البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص479 .

(2) البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص407 ؛ ابن جبير ، رحلة ، ص145 .

(3) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص260 .

المدن المجاورة لمكة وقبائلها :

تأتي بعد مكة من حيث الأهمية عدةٌ من مدن[1] شبه الجزيرة العربية التي أصبحت تشكل معها الأساس الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمنطقة وهي :

1 . المدينة المنورة (يثرب) :

تقع المدينة المنورة على بعد (300) ميل الى الشمال من مكة المكرمة في منطقة الحجاز ، وترتفع عن سطح البحر (600) متر تقريباً[2] ، وفي المدينة جبال مشهورة منها جبل أُحد الذي حدثت عنده المعركة التي سميت باسمه بين المسلمين وأهل مكة من المشركين في السنة الثالثة للهجرة ، وجبل سلع في شمالها ، أما جبل عِير فيقع في الجنوب الغربي منها[3] .

وتجري أودية المدينة من الجنوب باتجاه الشمال تحمل مياه الأمطار التي تسقي مزارع المدينة الخصبة ، والتي تنتج التمور والفواكه والخضار[4] ، وأهم أوديتها : وادي

---

(4) ينظر : الشكل رقم (1) الملحق ، ص233 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص287 .

(6) البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص117 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص108 .

(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص26 .

العقيق[1] ، وقناة[2] ، ووادي مذينيب[3] ، ووادي مهزور[4] ، ويحصران بينهما عوالي المدينة ، واعتمادها الرئيسي على مياه الآبار[5] .

أما نشأة المدينة فقد ذكر المؤرخون : أن العماليق هم أول من سكنها وشادها[6] ، وفي القرن السادس ق.م قدمت الى الحجاز جماعات يهودية بادت واندثرت ، ثم بعد حرب اليهود مع الرومان ودمار هيكل بيت المقدس سنة (70م) تشتت اليهود في أصقاع البلاد ، فقصدت جماعة منهم الحجاز مرة أخرى ، ووصل قسم منهم الى يثرب وهم بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وبنو هدل (بهدل)[7] ، واستقروا في أخصب بقاع المدينة المدينة وعاشوا حياتهم متكتلين في أحياء خاصة بهم[8] ، وابتنوا الحصون والآطام[9] على التلال المرتفعة ، وهو طراز معماري ابتدعه العماليق فهم أول من ابتنى الآطام[10] ، وفي اتخاذ اليهود هذه الحصون دليل على غربتهم وأنهم كانوا غير مطمئنين بين ظهراني المجتمع العربي الجديد الذي حلوا فيه[11] .

---

(1) وادي العقيق : وادي من أودية المدينة على ميلين منها ، وقيل : على عشرة أميال وفيه نخل وقبائل من العرب ، وذكر أن تبعاً مر بهذا الموضع فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمي لذلك ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص216 .

(2) قناة : وادي بالمدينة ، وهي احد أوديتها الثلاثة عليه حرث ومال : ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص401 .

(3) وادي مذينيب : من أودية المدينة ، وهو قسم من سيل بطحان يأتي الى الروضة ثم يتشعب الى خمسة عشر جزء ، ويمر بالمدينة غربي المصلى ، ومنبعه على سبعة أميال من المدينة ، ينظر : السمهودي ، أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (ت911هـ/1505م) ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) ، ج3 ، ص212 .

(4) وادي مهزور : وادي من أودية المدينة ، وهو الذي يتخوف منه الغرق على أهل المدينة ، ومصدره من حرة سوران ، وهو يصب في أموال بني قريظة ، ثم يأتي بالمدينة فيسقيها ، ويمر في مسجد رسول الله ﷺ ، ينظر : السمهودي ، وفاء الوفا ، ج3 ، ص213 .

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص38 ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص287 .

(6) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص14 ؛ السهمودي ، وفاء الوفا ، ج1 ، ص157 .

(7) مهران ، دراسات في تاريخ العرب ، ص449–452 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص26 – 27 .

(8) الشريف ، مكة والمدينة ، ص295 .

(9) الآطام : (أَطم) الهمزة والطاء والميم يدل على الحبس والاحاطة بالشيء ، يقال للحصن : الأُطُمُ وجمعه آطام ، ينظر : القزويني ، معجم مقاييس اللغة ، ج1 ، ص112 .

(10) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص84 .

(11) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص22 .

ونتيجة لاضطراب أحوال اليمن السياسية وتهدم سد مأرب ، بدأت هجرة قبائل الازد اليمنية الى المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية ، وفي ما يقارب سنة (300م) استقرت أول هجرة من قبيلتي الأوس والخزرج الازدية في يثرب[1] ، ثم تتابعت عشائرهم في النزوح الى أن اكتمل عقد القبيلتين ، وفي أواخر القرن الرابع للميلاد تكون مجتمع عربي كبير في يثرب له شخصيته العربية المتميزة مثلته قبيلتي الأوس والخزرج[2] ، ونزلت الأوس بجوار أهم قبائل اليهود في عوالي يثرب (المدينة المنورة) ، ثم حلت الخزرج في الشمال في سافلة يثرب ، والتي هي من المناطق الأقل خصباً[3] .

وعاش العرب مع اليهود في يثرب (المدينة المنورة) ، وكانت الغلبة والأولوية لليهود ، بعد أن غلبت الأوس والخزرج في أيام وحروب بسبب التنافس الذي قام بينهم على الزعامة وعلى الموارد الاقتصادية ، فمنذ نهاية القرن الخامس للميلاد أي سنة (490م) تقريباً دار التطاحن بينهما واستمر من (497م) الى (617م) تقريباً[4] ، ثم عاد السلم والهدوء بينهم وسادهم الوئام ، بعد أن أصبح المال والثروة للاوس والصدارة والجاه للخزرج ، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنوات ، ثم اتصلوا بالنبي ﷺ[5] .

ومارس اليهود تجارة القوافل ونجحوا فيها ، وأشاعوا الربا الذي هو من عاداتهم المتأصلة فيهم[6] ، واحترفوا الزراعة وبعض الحرف البسيطة وصناعة الأسلحة والحُلي وكذلك مارس العرب الزراعة والتجارة[7] ، وحالف الأوس والخزرج اليهود ، فكان لكل قبيلة منهما أحلافاً خاصة بها مع اليهود دون الأخرى في السلم والحرب[8].

---

(1) السهمودي ، وفاء الوفا ، ج1 ، ص166 .

(2) مهران ، دراسات في تاريخ العرب ، ص457 .

(3) السهمودي ، وفاء الوفا ، ج1 ، ص190 .

(4) مهران ، دراسات في تاريخ العرب ، ص477–479 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص28 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص396 .

(6) المرجع نفسه ، ص368 .

(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص28 .

(8) ولفنسون ، إسرائيل أبو ذئيب ، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، (القاهرة – 1927م) ، ص55 .

وسكن عامة الناس في بيوت مبنية بالآجر والطين تتكون من طابق أو طابقين ، أما علية القوم والمسرين فقد سكنوا القصور والحصون (الآطام) التي انتشرت في يثرب وغيرها من المدن التي يسكنها اليهود وكذلك في الطائف[1] .

وكان ليثرب أسواق تجارية منها سوق بني قينقاع ، وسوق زبالة ، وسوق الصفاصف ، باعوا فيها الخيل والإبل والغنم والسمن ، وكانوا يستوردون من الطائف الزبيب ، ومن اليمن المنسوجات القطنية والحريرية ، ومن الشام الحنطة[2] ، وكان ساحل ساحل يثرب (ميناؤها) الجار على البحر الأحمر (بحر القلزم) ، ويبعد عنها (180) كم تقريباً ، وتجارتها عبره مع مصر ، وكان هذا قبل اتخاذ ينبع[3] ميناء لها[4] .

وعلى هذا فان يثرب (المدينة المنورة) منذ أن ظهرت وهي تواكب مكة في مسيرتها الى أن ولد الهدى ﷺ في مكة ، وظهر الإسلام فاحتضنته المدينة وأصبحت العاصمة الأولى للدولة الإسلامية .

2 . الطائف :

مدينة صغيرة متحضرة ، وهي ثاني القريتين في قوله تعالى : ﴿ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ﴾[5] ، جارة مكة ومصيفها ، وتقع على بعد خمسة وسبعين ميلاً الى الجنوب الشرقي من مكة على ظهر جبل غزوان من جبال السراة ، وهي مرتفعة عن سطح البحر نحو ستة آلاف قدم[6] ، واسمها القديم (وج) سميت بوج بن عبد الحي

---

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص29 .

(2) السهمودي ، وفاء الوفا ، ج2 ، ص748 ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص351 .

(3) ينبع : على تسعة برد من المدينة في طريق مكة ، ومن الجار الى ينبع أربعون ميلاً ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص621 .

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص92 .

(5) سورة الزخرف الآية : 31 .

(6) صقر ، نادية حسين ، الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، (جدة – 1981م) ، ص19 .

من العمالقة ، ثم سكنتها ثقيف فبنوا حائطاً مطيفاً بها يحميها من غارات القبائل البدوية فسموه الطائف[1] ، قال أمية بن أبي الصلت[2] :

نَحْنُ بَنَيْنا طائِفاً حَصْيناً ... يُقارِعُ الأبْطالَ عَنْ بَنِينا[3]

وتحف بالطائف البساتين الغناء لخصوبة أرضها وكثرة أوديتها ، وبها الكثير من العيون والآبار الغنية بالمياه العذبة ، وتنتج الخضار والفواكه مثل العنب والموز والتين والبطيخ والزيتون والخوخ والسفرجل والعسل ، ولها شهرة في إنتاج الورود العطرية التي تستخرج منها العطور مثل ماء الورد الذي تمد به مكة ومنطقة الحجاز كلها[4] ، ويزرع في الطائف بعض أنواع الحبوب أهمها القمح والشعير والذرة[5] .

ومناخ الطائف معتدل لطيف صيفاً أشبه بمناخ البحر الأبيض المتوسط[6] ، والطائف مدينة قديمة المنشأ ، إذ كانت لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ومن حولهم ثقيف ، ثم ما لبثت أن غلبت ثقيف على الطائف بزعامة مسعود بن معتب ، ونزل حول ثقيف جماعات من الازد ، وقرشيون من كنانة وبعض بني عذرة وهوازن ومزينة وجهينة ، وجماعات من الأوس والخزرج[7] .

ثم أن لثقيف علاقات اقتصادية واجتماعية مع قريش ، فقد كانت الطائف مصيفاً لأهل مكة ، وامتلك أثرياء مكة المزارع الخاصة بهم في الطائف ، فامتلك عمرو بن العاص مزرعة كرم كبيرة كلفته ألف درهم ثمناً لخشب عرائش العنب[8] ، وبلغ عددها

---

(1) ابن الفقيه الهمداني ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق (ت340هـ/951م) ، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب ، (بيروت– 1996م) ، ص79 ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص407 ؛ الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص216 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص379 .

(2) هو عبد الله بن ربيعة أبو عثمان ، ويقال : أبو الحكم الثقفي ، شاعر جاهلي ، ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج9 ، ص255 .

(3) الحميري ، الروض المعطار ، ص379 .

(4) حتي ، فليب ، تاريخ العرب ، ترجمة : محمد مبروك نافع ، ط2 ، دار الفكر ، (بيروت – 1953م) ، ص124.

(5) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص30 .

(6) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص39 .

(7) الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف(ت 344هـ/945م) ، صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1884م) ، ص120 .

(1) عرائش العنب : ما يعمل مرتفعاً يمتد عليه الكرم ، والجمع عرائش وعرشته عملت له عريش ، ينظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ج2 ، ص402 .

ألف عريش[1] ، واشتهرت الطائف بالصناعة وخاصة دبغ الجلود ، إذ كانت جلود المواشي تدبغ هناك وتجهز للأغراض المتعددة في البيوت وللملابس[2] .

3 . جدة :

ميناء جدة موقعه على ساحل البحر الأحمر (بحر القلزم) ، وتبعد عن مكة (55) ميلاً تقريباً ، وتقع في سهل تهامة ، وصفها الإدريسي بقوله : " هي فرضة (ميناء)أهل مكة ، مدينة كبيرة عامرة ، تجاراتها كثيرة ، وأهلها مياسير ذوو أموال واسعة ، وأحوال حسنة ومرابح ظاهرة ، ولها موسم قبل وقت الحجيج مشهود البركة تنفق فيه البضائع المجلوبة والأمتعة المنتجة والذخائر النفيسة ، وليس بعد مكة مدينة من مدائن الحجاز أكثر من أهلها مالاً ولا أحسن منهم حالاً "[3] .

وقد استقرت قبيلة قضاعة في جدة ، وقضاعة هو الابن الثاني لمعد الذي هو الجد التاسع للنبي ﷺ[4] ، وكانت حوزتها بيد مالك وملكان ابني كنانة ، وكان لهما صنم يقال له (سعد) بساحل جدة[5] ، ولم يعتمد العرب على البحر كخط رئيسي في مواصلاتهم لتخوفهم من ركوبه وأهواله ، ولكن ذلك لا يعني عدم معرفتهم به وبأحواله ، فقد كانوا يستخرجون اللؤلؤ بالقرب من جدة[6] .

ويعزى تعمير مدينة جدة الى الفرس اِبان عهدهم في جنوب شبه جزيرة العرب في القرن السادس الميلادي تقريباً ، وقد كان حولها خندق يرجح أنه من عملهم لشهرتهم

---

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص386 .

(3) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص120 .

(4) نزهة المشتاق ، ج1 ، ص139 .

(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص114 .

(6) ابن الكلبي ، أبو منذر هشام بن محمد السائب بن بشر (ت204هـ/819م) ، الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، ط4 ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة –2000م) ، ص36 .

(7) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص122 .

بذلك ، وقد قام الفرس بالتجارة منها[1] ، وكانت محل حَطٍ وإقلاع ، إليها تنتهي المراكب من مصر واليمن وغيرهما ، وعنها تصدر الى مكة[2] .

وكانت مباني جدة القديمة أرضية تتكون من طابق واحد مبنية من خصاص وأكواخ من اللبن ، ثم تطور العمران الى أبنية عالية من أحجار الجبال والصخور[3] ، وتغلب على جدة الرطوبة الشديدة مع الحرارة العالية في فصل الصيف الطويل ، وهي مشتى جميل[4] .

وقد شكلت هذه القرى والمدن مع مكة اهمية اقتصادية كبيرة من خلال ما وفرته من سلع تجارية لأسواق مكة او الاسواق القريبة منها ، وكان لذلك اثره في بناء القوة الاقتصادية لقريش التي اصبحت في مقدمة قبائل العرب ثراءً ومنزلة وبالتالي مكنها ذلك من بناء حكومة مستقلة لها قوتها الاقتصادية ومكانتها بين قبائل شبه الجزيرة العربية .

---

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص33 .

(2) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص258 .

(3) ابن جبير ، رحلة ، ص53 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص33 .

Abstract

The holy city was getting especial importance by Muslim writers in the past and recently, because it's location of Muslims hearts and all Arabs.

There is Kaba Temple which is (Allah's House) that gave it importance religiously which was the basis for the emergence of this city. spectator of economic status that people depend on agricultural economy , animal economy and commercial economy in semidesert , Arab tribes live in places which is to be found water and used it for camels and sheep , The Arab tribes would leave , these places when the water lessen . The Arab tribes fought with them to have better source of there was scattered agricultural oasis.

The population lives in it. There was activity agricultural commercial and industrial in these cities there were most commercial activities in The holy city because there were many of element from its location in valley without plant which Koran appear it.

Its location controlled on commercial path between Yaman and Shame countries, loaded caravans of spice, incense and perfume cross from it. The holy city link between south and north of Arab peninsula, Makah citizen took advantage of its religious location of Arabs hearts. They protected commercial caravans from assaults of Bedouin tribes which live near commercial, paths. They made

number of an agreement between them to economic benefits for holy city.

Masters of Mecca expanded commercial activity abroad Arab peninsula because of that the holy city got large economic importance from was expanded its relationship with territorial states in particularly, Bezants Empire, Saceany Empire and Habasha. Hashem bin Abed Manaf made number of agreement with Bezants Empire then their brother followed him in that. They made number of agreement with Saceany Empire and Habasha countries.

Mecca played important role in world commerce. This role was not produced by chonce but Qosi bin kleab made it on economic bases then their children we are studying historical events of Mecca from Qosi bin kleab got to ussume a position of responsibility to Mohammedan mission. We are studying economic positions which helped to build Mecca government.

The study appeared economic role and organized role which link with it. Kaba was organized and its religious ceremonies. Religion was used to be employed prosperous economy. In spite of important historical event in this time, but we searched about sources hardly and great diffulty, we found sources, they returned to Islamic era and Abasian era. This favela from historical event time which was studied whose had written , the historical event may by submission of political pressure , social pressure and mental pressure , also historical subject in this era contradict in what did write at late era .